مركز مُعلم الأجيال
لحفظ ونشر تُراث
قداسة البابا شنوده الثالث
بكنيسة السيدة العذراء بالزيتون

Πιμαὶπα τριαρχηс Ⲡⲣⲉⲙⲉⲛⲭⲏⲙⲓ
Ⲡⲟⲣⲑⲟⲇⲟⲝⲟⲥ
بطريركية الأقباط الأرثوذكس
Coptic Orthodox Patriarchate

من عظات الصوم الكبير

لمُعلم الأجيال
قداسة البابا المعظم
الأنبا شنوده الثالث

سلسلة كتب لم تنشر من قبل
لقداسة البابا شنوده الثالث

البابا شنوده الثالث

من عظات الصوم الكبير
للبابا شنوده الثالث

الطبعة الاولى
مارس ٢٠١٥

First Print
March ٢٠١٥

الكتاب: من عظات الصوم الكبير
المؤلف: قداسة البابا شنوده الثالث
الناشر: "مركز معلم الأجيال لحفظ ونشر تراث البابا شنوده الثالث"
الطبعة الأولى: مارس ٢٠١٥
المطبعة: شركة الطباعة المصرية - ت: ٤٤٨١٢٠٩٥
رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠١٥/٥٤٢٨

قداسة البابا المعظم الأنبا تواضروس الثانى

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ١١٨

معلم الأجيال البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ١١٧

مقدمة قداسة البابا تواضروس الثاني

وإن مات فهو يتكلم بعد

غزارة المعرفة وعمقها في حياة المتنيح قداسة البابا شنوده الثالث جعلته يترك لنا تُراثاً روحياً وأدبياً وكنسياً ربما لم تشهده أجيالاً كثيرة قبلاً. وفي نفس الوقت هذا التُراث لم نحصره تماماً حتى الآن.

ورغم أنه نُشر أكثر من ١٥٠ كتاباً بأحجام متنوعة وفي موضوعات عديدة تغطي مساحات كبيرة من المعارف المسيحية الروحية والكنسية والآبائية، والتى تُرجمت معظمها إلى العديد من اللغات، حتى صار اسمه معروفاً عالمياً إنه "مُعلم الأجيال".. إلا أنه مازال يوجد الكثير مما لم ينشر بعد.

فى مناسبة الذكرى الثانية لنياحته ١٧ مارس ٢٠١٤ ننشر بعضاً من ذلك التُراث الخالد والذي لم يُنشر من قبل.

يتمثل في:

١- الخدمة الروحية والخادم الروحي (الجزء الرابع)
٢- التجربة والاختبار (عن أحد التجربة)
٣- تأملات في صلوات الأجبية (صلاة الغروب)

وسوف تجد عزيزي القارئ متعة خاصة وأنت تستمع لصوت قداسته عبر الصفحات وبعد رحيله بعامين... يُعلمنا ويروينا من فيض معرفته وروحياته وخبراته العميقة.

تقديري ومحبتي لكل من ساهم في إخراج هذه الكتب إلى النور خاصة مركز حافظي تُراث البابا شنوده الثالث في كنيسة السيدة العذراء مريم بالزيتون بالقاهرة.

نفَّعنا الله ببركة صلواته لأجلنا كنيسةً وشعباً وضعفى.

ونعمته تشملنا جميعاً..،

البابا تواضروس الثانى

بابا الإسكندرية

وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٨

١٧ مارس ٢٠١٤

مقدمة مركز معلم الأجيال

يتشرف مركز معلم الأجيال لحفظ ونشر تراث قداسة البابا شنوده الثالث أن يصدر لك أيها القارئ الحبيب كتاب "**من عظات الصوم الكبير**". وهو تجميع لمجموعة من العظات ألقاها قداسة البابا شنوده الثالث في سنوات مختلفة أثناء فترة الصوم الكبير.

وقد أختار المركز هذه العظات من وسط مجموعة كبيرة ألقاها قداسته بمناسبة الصوم الكبير، مع مراعاة ألا تكون قد نشرت من قبل.

وقد رتبت العظات بحيث تتدرج بالقارئ من أهمية الصوم الكبير كأقدس أيام السنة الى الصوم مروراً بحياتنا بين الروح والجسد والتخزين الروحى، لتسمو به الي حياة النقاوة واللقاء مع الله والجلوس مع الآب.

والكتاب كما عودنا قداسة البابا شنودة مملوء من التأملات الروحية التى تسمو بالنفس وتساعد الروح على الإنطلاق من قيود الحس وثقل الماديات، كما لا يخلو الكتاب من العديد من التداريب الروحية التي تساعد القارئ على أن يعيش ما يقرأه خلال أيام الصوم المقدسة.

الكتاب بمجمله رحلة روحية جميلة تختلف عما صدر من قبل لقداسته عن الصوم.

المركز بشفاعة وإرشاد الروح القدس وبصلوات ذهبي الفم **البابا شنوده الثالث** سيقوم بإصدار باقي كنوز قداسته الوفيرة لتثمر أكثر في حياتنا وكل أبناء الكنيسة، وذلك بتشجيع وصلوات أبينا المكرم رئيس الأحبار البابا المعظم **الأنبا تواضروس الثاني** أدام الله لنا حياته، ورئاسته للكنيسة سنيناً

عديدة وأزمنة هادئة سالمة مديدة.

نطلب صلواتك أيها القارئ العزيز ومؤازرتك لنا بمحاولة إمدادنا بما يوفره الله من هذا التراث الغنى، لتجميعه لإتاحة الفائدة للجميع بنشره لنتمتع بالكلمات المحيية التي لأبينا الطوباوي وتثمر في حياتنا جميعا لمجد اسم الله القدوس.

ونتمنى لك أوقاتا مباركة مع هذه الدرر الثمينة لتكون لنا جميعا فرص للتمتع بالعشرة الإلهية ومذاقة الملكوت وصوماً مقدساً بتحويل هذه الكلمات إلى حياة مقدسة تبدأ معنا وتستمر في حياتنا كما قال رب المجد "اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ"(يوحنا٦:٦٣).

بشفاعة ذات الشفاعات معدن الطهر والجود والبركات والدة الإله القديسة الطاهرة مريم العذراء وبصلوات مثلث الرحمات **البابا شنوده الثالث** نفعنا الله ببركاتهم.

مركز معلم الأجيال

لحفظ ونشر تراث قداسة البابا شنوده الثالث

مارس ٢٠١٥

الفصل الأول

تأملات فى الصوم الكبير

تأملات فى الصوم الكبير[1]

أهمية الصوم الكبير

الصوم الكبير هو أهم صوم فى الكنيسة، بلغ من أهميته أن الكنيسة أضافت إليه أسبوعاً، تعويضاً عن عدم الإنقطاع فى السبوت، أو تمهيداً له وإستعداداً للدخول فى قدسيته.

وكان الرهبان يخرجون فى أثناءه إلى البرية، متوحدين فى نسك شديد لا مثيل له. وكان أيضاً فترة نسك للمتزوجين ...

إنه صوم سيدى، نصومه على مثال صوم الرب نفسه ...

هناك أصوام أخرى على إسم العذراء، أو الرسل، أو يونان النبى أو نينوى. أما هذا، فإنه صوم الرب نفسه، صامه عنا، من أجلنا.

فترة الصوم الكبير هى فترة تخزين روحى للعام كله، وفترة روحيات مركزة. إنها أقدس أيام السنة، وأكثرها روحانية.

الذى يتهاون في الصوم الكبير، صعب عليه أن يكون مدققاً في باقى أيام السنة. نقول هذا لكى نستعد لهذا الصوم المقدس كما يليق.

قال الكتاب "قدسوا صوماً، نادوا بإعتكاف" (يوئيل ٢: ١٥). فيجب أن يرتبط الصوم عموماً بالوحدة والهدوء والعمل الروحى.

---

[1] القيت هذه المحاضرة مساء الجمعة الموافق ٢٧ فبراير ١٩٧٦.

فترة الصوم الكبير بالذات كان السيد المسيح فيها معتكفاً، كان وحده فى الجبل، صائماً، فى تأمل، وفى وحدة وصلة دائمة بالآب.

فإن كنت لا تستطيع الإعتكاف بمعناه المطلق، فعلى الأقل إعتكف فى حدود إمكانياتك، بتصميم وجدية ...

ما تستطيعه من إعتكاف، لا تفرط فيه ...

وفّر الوقت الضائع فى مناقشات غير مجدية، والوقت الضائع فى تسليات وترفيهات، ولا داعى للزيارات التى لا لزوم لها. أنقذ كل هذا الوقت، واشغله بالروحيات ...

للصوم ركيزتان، لا نستطيع أن نهتم بأحداهما، ونهمل الأخرى! هو إخضاع للجسد من ناحية، لكى – من ناحية أخرى – تنال الروح حريتها.

وهو تجويع الجسد، لكى تنال الروح شبعها. العامل الجسدانى فيه ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو وسيلة موصلة للعامل الروحى.

وليس نافعاً أن نكتفى فى الصوم بإذلال الجسد، ونهمل الهدف الذى هو الإهتمام بالروح وإنعاشها وتغذيتها ...!

فى هذا الصوم، ينبغى أن نتأمل ولو قليلاً. كيف بدأ بالنسبة إلى السيد المسيح نفسه.

بدأ الرب تجسده بإخلاء ذاته، وكذلك بدأ خدمته.

ذهب إلى يوحنا المعمدان ليعتمد منه معمودية التوبة، وقد أخلى ذاته، حتى احتشم يوحنا من أن يعمده.

ولما حل عليه الروح القدس كحمامة، وشهد له الآب من السماء، ذهب إلى الجبل وحده، بعيداً عن التمجيد ...

كانت عملية إخلاء الذات دائمة طوال تجسده على الأرض.

وأرانا الرب بهذا، أن الخدمة تبدأ بإخلاء الذات.

إن السيد المسيح لم يبدأ خدمته بالمجد، وإنما بالتجرد، بالدخول من الباب الضيق، والسير فى طريق الآلام.

مقارنة بين الرب وآدم

آدم بدأ حياته بالجنة، بالنعيم والرفاهية. أما السيد المسيح فبدأ خدمته بالقفر والجبل، فى موضع غير مسلوك، ومكان بلا ماء !! آدم أشتهى أن يأكل، فأكل، حتى من الثمرة المحرمة. أما السيد المسيح فبدأ بالصوم، حتى عن الخبز والماء.

آدم أخذ من الحرام، والمسيح تعفف حتى عن الحلال.

آدم – فى خطيئته – نسى كلمة الله إليه. أما المسيح فوضع أمامه " كل كلمة تخرج من فم الله" (مت٤: ٤)، (تث٨: ٣).

آدم، وكذلك حواء، خضع كل منهما لمشورة خارجية خاطئة. أما المسيح فرفض كل مشورات العدو واقتراحاته.

آدم أراد أن يكبر، ويصير مثل الله. أما المسيح فإذ هو مساوٍ للآب، أخلى ذاته وأخذ شكل العبد.

آدم سعى وراء العظمة التى ليست له، واشتهاها. أما المسيح فإن عظمته

التى له، تخلى عنها.

الإنسان الأول لما سمع من الحية عبارة " ... **وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ**" (**تك٣: ٥**) تأثر، واشتهى المجد. أما المسيح، فلما سمع من الآب ذاته عبارة " هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت" (مت٣: ١٧ – مر١: ١١– لو٣: ٢٢) ،ظل على تواضعه ...

ولم يستخدم حقوقه كإبن، ولم يستخدم سلطانه الخاص.

الإنسان الأول سلك بطريقة جسدية، بحث عما يشبع جسده. أما المسيح فسلك بطريقة روحية، قال فيها للشيطان "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ..." (مت ٤: ٤).

آدم أراد أن يزيد، فنقص فى كل شىء ... حتى الذى كان له، فقده. أما المسيح فإنه أخلى ذاته، بينما قال عنه المعمدان " يَنْبَغِي أَنَّ ذلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ" (يو٣: ٣٠).

بعض تأملات ...

إن إخلاء الذات لم يكن عند المسيح مجرد نقطة البدء، كما ظهر فى التجسد، والميلاد فى مذود، والهروب إلى مصر، والبعد عن الأضواء ثلاثين سنة، إنما استمر معه هذا الإخلاء طوال الطريق، إلى جثسيمانى، والجلجثة، والقبر ...

إنه تخلى عن الذاتية تخلياً كاملاً. فإن أردت أن تصوم مثله، عليك أن تتخلى عن الذاتية، مثله ...

إنكر ذاتك، وأحمل صليبك، وأتبعه ...

إن كان وهو السيد، سيد الكل، قد أخذ شكل العبد، فنحن العبيد: أى شكل نأخذ ...؟! نأخذ شكل التراب والرماد، أثناء الصوم، وفى غير فترات الصوم.

إن الإبن الكلمة، فى تجرده، وفى إخلائه لذاته، كان سعيداً مع الآب، وكان راضياً بهذا التجرد ...

كان يحب أن ينفرد بالآب قبل أن يبدأ خدمته الجهارية. أيها الآب أريد أن أجلس معك، قبل أن أختلط بالناس، وأن أعمل معك، قبل أن أعمل مع الناس.

أنه درس لك أنت أيضاً أن تجلس مع الآب، قبل أن تختلط بالناس، وقبل أن تخدم ...

إنها حكمة الأربعين يوماً التى يعتكف فيها الكاهن الجديد فى الدير، بعد سيامته، فى صلاة وصوم، قبل أن يبدأ عمله فى خدمة الكنيسة ... تماماً كما فعل المسيح ...

وأنت أيضاً، قبل أن تعمل مع الناس، إجلس مع الله، قبل كل كلمة، قبل كل تصرف، إنفرد بالرب، ولو لحظة.

إن كنت لا تستطيع أن تعتكف أربعين يوماً، بسبب مسئولياتك العالمية، فاعتكف ولو أربعين دقيقة ...

إن كل لحظة تختلى فيها بالرب لها قيمتها وفاعليتها ...

فترة حروب وتجارب

إن فترة الأربعين يوماً التى قضاها الرب على الجبل، كانت فترة حروب وتجارب من عدو الخير. ونحن نعلم أن كل عمل روحى، لابد أن يحاربه الشيطان. لذلك ليس غريباً علينا أن يصب حروبه وحسده فى فترة الصوم، ويحاول إزعاجنا حتى لا نستفيد.

فإن بدأت الصوم، وبدأت الحروب، فلا تتعجب، ولا تتذمر، ولا تقل له "أهذا جزائى يا رب عن روحياتى؟! هل أتصرف كأهل العالم حتى أستريح؟!" كلا، بل قل كما قال بولس الرسول **"لأَنَّنَا لاَ نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ"** (٢ كو ٢: ١١)...

قف صامداً أمام التجارب، كجبل راسخ لا يتزعزع، مؤمناً أن قوة الرب معك، عارفاً أن هذه المتاعب دليل على تعب الشيطان، وعلى غيرته منك...

إن التجارب لا تضايقنا ... إنها محاولة يائسة من الشيطان أن يثنينا عن العمل الروحى ... إنها محاولة من فرعون عند البحر لكى يبقينا فى أرض العبودية. فى الأربعين يوماً كانت هناك تجارب، وكان هناك إنتصار.

حارب إذن حروب الرب فى شجاعة، وستنتصر كما انتصر هو، وهو نفسه **"سيقودنا فى موكب نصرته"** (٢كو٢: ١٤).

قد تأتيك الحروب من داخل، وقد تأتيك من الخارج. وفى كليهما تشدد وتشجع. وتذكر أمام إغراءات الشيطان: إن فترة الصوم هى فترة مقدسة، يجب أن تسلك فيها بكل قداسة، والخطية أثناءها أصعب وأبشع، لأنها تحمل

معنى الإستهانة بالصوم المقدس وطابعه الروحى.

حاول أن يكون الصوم بالنسبة لك فترة إمتلاء بالروح، وفترة تخزين روحى، وخبرة روحية، وعشرة مع الله ...

من الآن، قل لنفسك: ما هى الفائدة التى سأخرج بها من هذا الصوم؟ لابد أن أخرج بشىء ... أشعر أنك داخل على كنز من الروحيات، وعلى مخزن من الخبرات، وستغرف من كل هؤلاء وأولئك...

كلما يقترب منك الشيطان، إنتهره كما انتهره الرب ... ولا تسمح له أن يدنس صومك. كن حريصاً، وكن مدققاً. وثق أن التدقيق الذى تمارسه خلال خمسة وخكسين يوماً، ستصحبك آثاره ونتائجه بعد الصوم أيضاً.

وتكون خلال الصوم قد تعودت الحرص والتدقيق، وقد تدربت على التعفف، وعلى الصلاة والوحدة والتأمل.

حاول كل يوم أن تنال من الرب بركة خاصة. **وصلّ إلى الرب أن يمنحك معونة خاصة خلال الصوم.** قل له: أعطنى يارب أياماً مقدسة أبدأ بها ... أعطنى صوماً طاهراً كعطية مجانية من عندك. لا تخزنى، ولا أرجع من عندك فارغاً. لن أتركك حتى تباركنى ...

وحذار أن تظن أن الصوم هو مجرد نسك جسدى، أو مجرد تغيير طعام. كلا، بل هو مناسبة روحية مقدسة، تستطيع فيها الروح أن تنطلق من ضغط الجسد ومعطلاته، وذلك بإخضاع الجسد وشهواته.

أسلكوا إذن بالروح، ومعكم معونة من روح الله القدوس. أرجو لكم نعمة خاصة، وصوماً روحياً، ونمواً فى محبة الرب.

الفصل الثانى

الصوم وروحانيته

الصوم و روحانيته[٢]

فترات مقدسة فى الحياة

فترة الصوم هى فترة مقدسة، ليست كباقى الأيام العادية. ومع أن حياتنا ينبغى أن تكون كلها مقدسة، إلا أن الله خصص لنا أياماً مقدسة، وفترات معينة، لكى تكون لها قدسية خاصة، ويكون لها اعتبار خاص أكثر من غيرها.

هذه الأيام نوليها إهتماماً خاصاً، ونسلك فيها بحرص أكثر، ونجنى منها فوائد روحية. يذكرنى هذا بأننا ونحن شبان صغار كانوا يعطوننا تدريباً روحياً يسمى "تدريب اليوم المثالى".

من المفروض أن تكون حياتنا كلها مثالية. ولكننا قد لا نستطيع هذا عملياً، لذلك ندرب أنفسنا على أيام مثالية: تكون مثالية فى عبادتها، فى صلواتها، فى قراءتها، فى إحتراسها، فى تداريبها.

من بين الأيام التى طلب منا الرب تقديسها، السبوت ...

قال الرب فى الوصايا العشر **"اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ"** (خر ٢٠: ٨). وحالياً صار يوم الرب هو يوم الأحد. ومع أن حياتنا كلها ينبغى أن تكون مقدسة، لكن يوم الرب له طابع روحى خاص. نخصصه للرب. عملاً من الأعمال لا نعمل فيه، بل ما يخص الرب وحده.

---

[٢] القيت هذه المحاضرة مساء الجمعة الموافق ٢١ مارس ١٩٧٥.

إن الأيام التى يطلب منا الرب تقديسها على أنواع:

النوع الأول، هو التقديس الأسبوعى، يوم للرب فى كل أسبوع. فالله يعطيك أسبوع حياة، ويقول لك إفرز منه يوماً لى. خصصه لى. قدسه. لا تشغله بأمور العالم الزائل.

النوع الثانى من الأيام المقدسة، هو الأعياد والمواسم: قال الكتاب " هذه هى مواسم الرب التى فيها تنادون محافل مقدسة هذه هى مواسم الرب، المحافل المقدسة التى تنادون بها فى أوقاتها ... هذه هى مواسمى" (لا٢٣: ٢). هذه الأعياد طلب الرب أن تخصص له، لا نعمل فيها عملاً ... نفرح فيها بالرب، ونقدم له القرابين والتقدمات.

النوع الثالث، هو فترات الصوم. وتختلف عن النوعين السابقين، فى أنها فترات تذلل وتوبة وإنسحاق.

كل هذه أيام مقدسة للرب، مخصصة له، لها روحانياتها الخاصة، على الرغم من إختلافها فى النوع. وكأن الله فى تخصيص هذه الأيام له وتقديسها، يقول لكل منا: **أشركنى معك فى حياتك. خصص لى أياماً منها، إن لم تستطع أن تعطينى الكل. أذكرنى فيها بطريقة خاصة ...**

كل حياتك هى لى. ولكن على الأقل، أعطنى هذا الجزء. كما أطلب من أموالك البكور والعشور والنذور والتقدمات، كذلك أطلب من حياتك السبوت والأعياد والأصوام. تذكرنى فيها أكثر من باقى الأصوام، تجلس فيها معى، تختبر عشرتى، وتذوق محبتى، بأسلوب أعمق وأكثر تركيزاً من باقى الأيام...

هذه الأيام حددها الرب بنفسه. وعيّن أصواماً عامة منذ العهد القديم، تكون للرب.

مشاعرك أثناء الصوم

أول شعور يأتيك هو أن فترة الصوم هى فترة روحية إلهية لها طابع خاص، والخطيئة فيها أخطر وأعمق. حقاً إن الخطيئة هى الخطيئة، ولكنها فى فترة الصوم تكون أكثر دنساً وبشاعة، لأنها تحمل ضمناً الإستهانة بقدسية أيام الصوم وروحانياتها، وتدل على عدم المبالاة بالإتفاق الذى بيننا وبين الله أثناء الصوم، من حيث أن نحيا له، حسب الروح وليس حسب الجسد.

نتذكر فى الصوم قول الكتاب "قدسوا صوماً، نادوا بإعتكاف" (يوئيل٢: ١٥). والتقديس لا يتم إلا بعمل الروح القدس.تقديس إنسان، تقديس كنيسة، أو صور، أو أوانى ... لا يتم إلا بالروح القدس. كذلك تقديس الصوم ...

فمعنى "قدسوا صوماً" هو إمتلئوا بالروح. أعطوا فرصة لروح الله القدوس أن يقدسكم ويقدس أصوامكم. إستسلموا لعمل الروح فيكم. لا تقاوموا الروح. لا تطفئوا الروح. لا تعطلوا عمل الروح فيكم.

أشركوا إرادتكم مع عمل الروح، لكى تدخلوا فى شركة الروح القدس أثناء الصوم، ويتقدس صومكم.

تتذكر فى الصوم الكبير أنه صوم سيدى، لأن السيد الرب قد صامه، منقطعاً عن الطعام والشراب أربعين يوماً وأربعين ليلة، بسرٍ لا ينطق به ...

وهو فى ذلك الصوم قد ناب عنا، ناب عن البشرية فى صومه، لأنه لم يكن فى حاجة إلى الصوم. فعلى الأقل نصوم نحن من أجل أنفسنا ...

فترة الصوم بالنسبة إلى الإنسان المبتدىء هى فترة تذلل وتعب، أما بالنسبة إلى الروحيين، فهى فترة متعة روحية.

هى فترة تفرغ للرب، يذوق فيها الإبن حلاوة العشرة مع الآب، دون أية عوائق من الجسد ورغباته. فيها مذاقة الروح، وعمل الروح، والسلوك بالروح، والشركة مع الروح، والتمتع بالعمل الإيجابى، وليس مجرد الإمتناع عن الأكل.

فترة الصوم هى فترة صلح مع الله ... يقول فيها للرب: هأنذا أبدأ لكى أسلك حسب الروح وليس حسب الجسد... فترة تشترك فيها روح الإنسان مع روح الله، فى عمل بعيد عن المادة، بعيد عن سيطرة الجسد، وشغب الجسد وتمرّده، ومتطلبات الجسد المتطرفة. هى إذن فترة غير جسدانية، يرتفع فيها الإنسان عن مستوى الجسدانيات من كل ناحية ...

يرتفع عن المستوى الجسدانى، من جهة الطعام، من جهة الجنس، من جهة الراحة الجسدية، من جهة الرغبات الجسدية وأفكارها وممارساتها. ويسلك سلوكاً روحياً عميقاً. إذن الأمر ليس امتناع عن الأكل، أو تغيير طعام حيوانى بطعام نباتى ... إنما هى فترة روحية، صوم الجسد فيها هو مجرد تعبير عن السلوك الروحى.

من هنا كان الصوم فترة غذاء روحى للإنسان ...

لأنه من غير المعقول أن تحيا فترة روحية، دون أن تعطى الروح غذاءها. إن كنت تريد أن تخرج من نطاق رغبات الجسد وسيطرته، فلا بد أن تقوى

الروح، بما تقدمه لها من وسائط روحية ... **وهكذا تبدأ فى أن تراجع كل مصادرك الروحية** ... وتعمل على تقويتها :

إن كانت قراءاتك الروحية قليلة، فلا يصح أن تبقى قليلة فى الصوم الكبير. إن كانت تأملاتك ضعيفة، فلا يجوز أن يستمر ضعفها فى الصوم الكبير. إن كنت مقصراً فى صلواتك، أو فى إعترافك، أو فى تناولك، أو فى أى منهج روحى، أو فى أية فضيلة، فيجب أن تستغل فترة الصوم الكبير لتعالج كل هذا ...

أيام الصوم الكبير هى **فترة التخزين الروحى للسنة كلها**: بكل ما فى هذا الصوم من تأثيرات. ألحانه الحزينة، قراءاته، مطانياته، تأملاته، ذكرياته، قداساته التى تبدأ بعد الظهر، والتى تكون أكثر عمقاً وتأثيراً ... وكما قال مار إسحق: إن صلاة واحدة تصليها وأنت صائم جائع، لهى أكثر عمقاً من مائة صلاة تصليها وأنت ممتلىء بالطعام ...

الإنسان أثناء الصوم يكون منسحقاً بالجسد. وبإنسحاق الجسد تنسحق الروح. إن الجسد الضعيف الجائع المتعب كون منكسراً أمام الله، ويمنح الروح أفكاراً منسحقة، ويكون الإنسان أكثر إتضاعاً، شاعراً بضعفه، يصلى من تعبه، ومن إحتياجه، بعمق أكثر.

تدريباتك فى الصوم

أريد أن تكون لكم فى هذا الصوم التدريبات الروحية التى تخرجون منها بفائدة عملية فى حياتكم. فلو إنكم فى كل صوم كبير خرجتم بمنفعة روحية واحدة، لأمكننا أن نحصى منافع جمة حصلتم عليها خلال الأصوام الماضية. **ياليت كل إنسان فى فترة الصوم، يضع أمامه هدفاً محدداً، ويركز كل طاقاته،**

وكل جهاده الروحى، وكل صلواته، للتخلص من خطأ معين فى حياته، أو نقص أو ضعف ما، أو عادة مسيطرة، أو طبع غير محكوم ...

إجلس إذن إلى نفسك، واستعرض بدقة شديدة نقط الضعف التى فيك، التى تحتاج إلى علاج، واجعلها هدف الصوم الكبير كله، أو ركز على واحدة منها، بكل إرادتك، بكل عزم، بكل صلاة وطلبة، بكل الطرق العملية، وبكل مشاعرك الداخلية. بكل مطانياتك، بكل دموعك ...

قد يكون هدفك هو التخلص من خطيئة معينة، وقد يكون الهدف إيجابياً، أعنى الحصول على فضيلة معينة تنقصك.

قد ينقصك الحب، أو الإتضاع، أو الإيمان، أو الإحتمال، أو الوداعة، أو اللطف، أو الهدوء والسلام ... تأمل ماذا ينقصك وركز عليه.

إبحث عن النقط المشتركة فى كل إعترافاتك، التى لم تتخلص منها بعد. وقل لنفسك: هذه هى رسالة الصوم الكبير فى عامنا الحالى. لو أننى تخلصت من هذه وحدها، أو تدربت على هذه الفضيلة وحدها، لكان هذا يكفينى ...

إجعل هذا الأمر موضوع صراعك مع الله، وصراعك مع نفسك، طوال الصوم الكبير. قل للرب فى إنسحاق: أنا لا أريد أن أقول فقط "خطيئتى أمامى فى كل حين"، إنما أريد أن أضع خطيئتى أمامك فى كل حين، مبللة بدموعى، مقدّمة بصلواتى، لكيما تخلصنى منها، لكيما تعطينى قوة أستطيع بها أن أنتصر، لأننى بدونك لا أقدر على النجاة منها. نعم جاهد هكذا مع الله، وقل له: **إن يعقوب صارعك ليلة واحدة، وهو يقول "لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي" (تك٣٢: ٢٦). أما أنا فسأصارعك طوال الأربعين يوماً والأربعين ليلة، ولا أتركك حتى تخلصنى من هذه الخطية ...**

لن أترك صلاتى، ولا صومى، ولا دموعى، ولا مطانياتى، حتى أنال قوة خاصة منك، أو أنال وعداً منك بأنك ستقف معى فى جهادى، أو أشعر براحة فى داخلى، وإطمئنان من جهة أبديتى، ومن جهة سكناك فى قلبى، وأشعر يقيناً أنك ستغسلنى فأبيض أكثر من الثلج.

إن فترة الصوم الكبير يا أخوتى، ليست هى فقط فترة صراع مع النفس للتخلص من شهواتها الرديئة، إنما هى بالأكثر فترة صراع مع الله ...

صراع مع الله، ليأخذ الإنسان بركة، ويأخذ معونة، ويأخذ خلاصاً ... أصرخ أمام الله وقل "ويل لى فإن غربتى قد طالت علىّ" ... مرت على سنوات وأنا ما أزال فى هذه السقطات، أو ما أزال فى هذا الجهاد دون فائدة. ولكننى فى هذه المرّة لابد أن أنال، فى ثقة الإيمان بمراحم الله الواسعة.

يقول الكتاب "قدسوا صوماً، نادوا بإعتكاف". ولعله بهذا يشير إلى فائدة الإعتكاف، فى فترة الصوم. إن الصوم ولاشك يناسبه الإعتكاف، سواء من الناحية الجسدية أو الروحية... الإعتكاف يعطى هدوءاً وراحة للجسد الذى أرهقه الجوع وقلة الغذاء. والإعتكاف يعطى هدوءاً للروح وللفكر، وتفرغاً للعمل الإلهى بعيداً عن كثرة الإنشغالات والإنفعالات والأحاديث.

السيد المسيح إعتكف على الجبل وحده طوال الأربعين يوماً ... كانت الشياطين تحاربه، ثم جاءت الملائكة تخدمه. وأنت هكذا فى أثناء الصوم، ستحاربك الشياطين لتمنعك عن عملك المقدس، وستخدمك الملائكة، تطرد عنك الشياطين، وتقويك فى جهادك الروحى. ونحن نثق فى هذه الحرب أن الذين معنا أكثر من الذين علينا.

بل نثق فى كل حروبنا الروحية أن الحرب للرب كما قال الكتاب، وأن الله قادر أن يغلب بالقليل وبالكثير ...

الفصل الثالث

أهمية الصوم وروحانيته

أهمية الصوم وروحانيته[٣]

تاريخ الصوم

الصوم هو المنع. هو – قبل كل شيء – ضبط النفس. وهو أول وصية أعطاها الله للإنسان.

إذ منعه عن الأكل من شجرة واحدة فى الجنة، قائلاً له **"وأما شجرة معْرِفةِ الْخيْرِ والشر فلا تأْكلْ مِنْها، لأنك يوْم تأْكل مِنْها موْتًا تموت"** (تك ٢: ١٧). وهكذا عاش الإنسان الأول ضابطاً لنفسه من هذه الناحية، إلى أن أغراه الشيطان. فاشتهى وأكل وسقط (تك ٣ :٦).

وكان الله قد خلق الإنسان نباتياً منذ البدء، يأكل البقول وثمار الأشجار(تك١: ٢٩). والحيوان أيضاً كان لا يأكل سوى العشب (تك ١: ٣٠). ولم يسمح الله للإنسان بأكل اللحوم، إلا بعد أن كثر الشرّ فى الأرض وحزن الله أنه خلق الإنسان (تك ٦: ٦، ٧). ولذلك سمح الله بالطوفان فمحا كل حىّ على وجه الأرض، ما عدا أسرة أبينا نوح وما دخل معهم من الحيوان إلى الفلك...

ثم سمح الله بأن يأكل الإنسان اللحوم بعد رسو فلك نوح. فقال "كل دابة حية تكون لكم طعاماً، كالعشب الأخضر. دفعت إليكم الجميع. غير أن لحماً بحياته، دمه، لا تأكلوه" (تك ٩: ٣، ٤).

---

[٣] القيت هذه المحاضرة مساء الأربعاء الموافق ٩ فبراير ٢٠٠٧.

وهكذا مع التصريح بأكل اللحوم، ظل عنصر المنع موجوداً. وهو المنع عن الدم. يمتنع الإنسان عن أكل الدم. وأيضاً عن سفك دم الإنسان أخيه (تك ٩: ٦).. ومنع عن أكل الدم أيضاً فى الشريعة التى قدّمها للبشر على يد موسى النبى (لا ١٧: ١٠).

وكذلك فى قبول الأمم، كما قال الأباء الرسل القديسون فى أول مجمع عقدوه، فأمروا الداخلين إلى الإيمان من الأمم " أَنْ تَمْتَنِعُوا عَمَّا ذُبِحَ لِلأَصْنَامِ، وَعَنِ الدَّمِ، وَالْمَخْنُوقِ، وَالزِّنَا،" (أع ١٥: ٢٩)..

وفى الشريعة أيضاً منع أكل لحوم الحيوانات النجسة.

والصوم ليس هو فقط فضيلة خاصة بالطعام: ماذا تأكل؟ ومتى تأكل؟ إنما هناك أيضاً صوم النفس ..

حسن جداً أن يكون الجسد صائماً، ولكن هل النفس أيضاً تكون صائمة؟ إن هناك درجة أعلى من النفس الصائمة، وهى النفس الزاهدة. ولكن لأن هذا الزهد لا يستطيعه كل أحد، لذلك وُضعت له حدود بالنسبة إلى الإنسان العادى .. وحتى صوم الجسد، فقد وُضعت له أيام محددة ومناسبات، فليس كل إنسان يمكنه الصوم بإستمرار ..

ولكن صوم القلب والفكر والحواس عن الخطيئة، مطلوب من الجميع.

فالذى يصوّم فمه عن الطعام، ولا يصوّم قلبه عن الشهوات الخاطئة، ولسانه عن الكلام الخاطىء، كما لا يصوّم فكره عن الأباطيل .. فصوم هذا الإنسان باطل .. فالله يريد نقاوة القلب قبل كل شىء. ومن نقاوة القلب تصدر كل أنواع الصوم، سواء الخاصة بالجسد أو بالنفس.

إيجابيات

كما أن الصوم له إيجابياته أيضاً، وليس هو مجرد إذلال للجسد.

لعل من أهم إيجابياته، **الصلاة**. حتى تشترك الروح مع الجسد فى صومه. ولهذا نكرر فى قداسات الصوم عبارة " الصوم والصلاة هما اللذان .. ". وحتى بالنسبة إلى إخراج الشياطين، قال السيد الرب " هذا الجنس لا يخرج بشىء إلا بالصلاة والصوم" (مت ١٧: ٢١).

ومن الإيجابيات الهامة المصاحبة للصوم، أعمال الرحمة.

فكما يشعر الإنسان فى الصوم بألم الجوع وبالحاجة إلى الطعام، كذلك عليه أن يشفق على الجياع والمحتاجين. وقد قال أحد الآباء مرة " إن لم يكن معك ما تعطيه لهؤلاء، فصُم وقدّم لهم طعامك ".

وقد لاحظنا أهمية هذا الأمر فيما ذكره الوحى الإلهى فى سفر إشعياء النبى. إذ صرخ إليه الناس قائلين " **لماذا صمنا ولم تنظر؟ ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ؟!**" (أش ٥٨: ٣). فكان ضمن إجابة الرب لهم " **أمثل هذا يكون صوماً أختاره؟!**" ... هل تسمّى هذا صوماً ويوماً مقبولاً للرب؟! **أليس هذا صومًا أختارُهُ: حل قُيُود الشر. فك عُقد النير، وإطلاق المسحُوقين أحرارًا، وقطع كُل نيرٍ. أليس أن تكسر للجائع خُبزك، وأن تُدخل المساكين التائهين إلى بيتك؟ إذا رأيت عُريانًا أن تكسُوهُ، وأن لا تتغاضى عن لحمك.** (أى عن أقاربك) "(أش ٥٨: ٥- ٧).

إذن هناك صوم مقبول يختاره الرب، وصوم آخر غير مقبول.

من الإيجابيات الهامة فى الصوم أيضاً: التوبة ...

بل إنها أهم الإيجابيات، لأن الصوم بلا توبة، مثل طائر بدون أجنحة. ولذلك وضعت لنا الكنيسة المقدسة صوم أهل نينوى قبل الصوم الكبير بأسبوعين، حتى تكون لنا مثالاً فى صومنا ...

لقد صام أهل نينوى كلهم صوماً دقيقاً جداً، وذللوا أنفسهم. وعفى الله عنهم وسامحهم فلم يهلكوا. ولكن كيف كان ذلك؟ يقول الكتاب "فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة، ندم الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم، فلم يصنعه" (يون ٣: ١٠). نلاحظ هنا أن سبب عفو الله تركز على توبتهم.

تداريب

ولعل البعض يقول: ما أكثر ما سمع الناس من عظات عن الصوم، وما أكثر الأصوام التى صاموها كل عام. ومع ذلك لا تزال الأخطاء كما هى، والطباع كما هى، لم تتغير!!

ونجيب بأن العيب ليس هو فى الصوم، وإنما فى الطريقة التى صاموا بها. إذ حسبوا أن الصوم هو مجرد فترة خاصة بأكلهم ونوعيته وموعده ! ونسوا فضائل الصوم، ولم يدربوا أنفسهم خلال الصوم على ترك أخطائهم .. فما هى إذن تلك التداريب الخاصة بالصوم.

نذكر فى الأول تدريبات خاصة بالتوبة:

على كل إنسان فى الصوم، أن يجلس فى جدية مع نفسه ويكتشف كل أخطائه، بكل صراحة، بغير مجاملة، ولا تبرير لنفسه. ثم يبدأ بتدريب ذاته على ترك الخطايا المحبوبة لديه والمسيطرة عليه، والتى يتكرر ذكرها فى كل إعترافاته. وأيضاً الخطايا التى يلمسها

الناس فيه، وإن لم يكن هو يعرفها أو يعترف بها. وبكل حزم يبعد عن هذه الخطايا، ويغلق كل الأبواب التى تدخل منها الخطية إليه. أى يتحاشى الأسباب ...

ثانياً: يدرب نفسه على ما يلزمه من ثمار الروح:

وهى كما ذكر القديس بولس الرسول فى (غلا ٥: ٢٢، ٢٣): "محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف".. ويمكن أن يتناولها واحدة فواحدة، لأنه لا يستطيع التدريب على الكل دفعة واحدة، وبخاصة لأن المحبة وحدها لها تفاصيل كثيرة فى (١كو ١٣: ٤ – ٧).

هناك تدريبات خاصة بالصلاة والحفظ:

فيدرب نفسه على أن يبدأ يومه ويختمه بالصلاة. وأن يصلى بفهم وعاطفة وتركيز وخشوع. كما يتدرب على صلوات التسبيح والشكر والإعتراف بالخطايا وطلب المعونة فى كل شىء. والصلاة من أجل الآخرين ومن أجل الكنيسة والمجتمع وملكوت الله فى كل موضع، وعلى عدم السرعة فى الصلاة. كما يتدرب أيضاً على حفظ المزامير، وقطع الأجبية، وبعض الألحان والتسابيح، وفصولاً من الكتاب المقدس، والتأمل فى ما يحفظه، وإستخدامه فى صلواته أيضاً.

تداريب أخرى خاصة بالعطاء:

بأن يكون أميناً فى دفع العشوروالبكوروالنذور. وبقدر إمكانه لا يرد طلباً لمحتاج. ويتذكر وصية الرب فى (أم ٣: ٢٧، ٢٨).

الفصل الرابع

أقدس أيام السنة

أقدس أيام فى السنة[٤]

أيام الصوم الكبير هى أقدس أيام فى السنة كلها، ولابد أن نستفيد منها، ونكتسب لأنفسنا. فالذى لا يستطيع أن يكتسب لنفسه كثيراً من الروحيات فى الصيام، من الصعب أن يستفيد فى باقى الأيام ...

فترة التخزين الروحي

وفترة الصيام، ليست فقط فترة الإستفادة من الروحيات، ولكنها – أيضاً – فترة "التخزين" للروحيات من أجل السنة كلها. إن أيام الصوم الكبير هى أكثر أيام السنة روحانية من جهة أصوامها، ومن جهة روحانياتها ومن جهة صلواتها، ومن جهة ألحانها، ومن جهة طقسها المؤثر .. ومن جهة الإنقطاع الذى فيها .. وأيضاً من جهة التوبة ...

وأيام الصوم الكبير، هى فترات مقدسة وعجيبة فى حياة الإنسان .. والصوم شىء معروف فى البشرية منذ بدء الخليقة .. والصيامات – فى الكنيسة – كثيرة .. ولكن الصوم الكبير أهمها .. كما يظهر ذلك من أسمه أيضاً .. فهو أكبر صوم من جهة عدد الأيام .. وهو أكبر صوم أيضاً من جهة الأهمية .. ويكفى – فى ذلك – أن الرب يسوع المسيح نفسه قد صامه .. وهو – له المجد – الذى نادى به.

ويرجع تاريخ الصوم الكبير إلى زمن السيد المسيح، الذى كان هو نفسه

---

[٤] القيت هذه المحاضرة مساء الجمعة الموافق ١١ فبراير ١٩٧٢.

أول من صامه. فإن كان السيد المسيح قد صام هذا الصيام من أجلنا، أفلا نصوم نحن أيضاً من أجل بعضنا، ومن أجل أنفسنا، ومن أجل حياتنا؟؟

والصوم الكبير يعتبر من "الأصوام السيدية" .. و "صوم العذراء" على أسمها .. و "صوم الرسل" على أسم الرسل .. وكذلك "صوم يونان" ..

ولكنك تصوم " الصوم الكبير " على أسم المسيح نفسه .. فهذا الصوم "سيدى" لأن السيد المسيح قد صامه .. وكذلك تصوم صيام "الأربعاء والجمعة" .. لنتذكر فى يوم الأربعاء التآمر الذى جرى على السيد المسيح، ولنتذكر فى يوم الجمعة صلبه أيضاً ..

ولذلك فهذه الأصوام "أصوام سيدية".. والصوم الكبير، كان الناس يصومونه بنسك شديد جداً، أكثر من أى صوم آخر .. ولكن من العجيب أن بعض الناس – الآن – يصومون "صوم العذراء" بنسك شديد، ولا يفعلون ذلك فى الصيام الكبير ...

الإنقطاع عن الطعام

وما دمنا نتحدث عن الصوم، فإن ذلك يدعونا للحديث عن "الإنقطاع عن الطعام" ...

إن الإنقطاع عن الطعام لا يضر الصحة، بل على العكس يفيدها فائدة كبيرة .. لقد قرأت بحوثاً كثيرة عن فائدة الصوم من الناحية الطبية، كتبها علماء .. خلاصتها أن الصوم أولاً وأخيراً فيه راحة للمعدة، وراحة للكبد، وراحة للمرارة، وراحة للأمعاء .. وراحة لكل هذه الأجهزة المختصة بالطعام .. والتى ترهق أحياناً من كثرة الأكل، وأحياناً من سوء الإستعمال .. بمعنى عدم

الإنتظام فى مواعيد الطعام ..

وميزة الإنقطاع عن الطعام، هى فائدة للجسد، لأن ذلك يكون فرصة يتخلص الجسد فيها من السمنة الزائدة، والترهل والدهون والشحم .. لأن الجسد خلال فترة الإنقطاع، يتغذى على هذا الرصيد فيه!

ومن الغريب أن بعض الناس ينقطعون عن الطعام، عندما يمارسون ذلك "كريجيم" .. من أجل أجسادهم .. ولا يقبلون هذا الإنقطاع عندما يكون ذلك صياماً .. من أجل الله ...!! والإنقطاع عن الطعام – أيضاً مفيد – لأنه عند الصيام تتحلل بعض الأنسجة، وهى الأنسجة المصابة، التالفة .. كما أنه يحدث عملية طرد للسموم من الجسد ...

ولو كان الإنقطاع عن الطعام مضراً ومميتاً – كما يظن البعض – لكان إيليا النبى قد مات عندما انقطع عن الطعام أربعين يوماً .. وكذلك موسى النبى .. وكذلك كان الهنود .. والذين يمارسون " اليوجا "، قد ماتوا وهم ينقطعون عن الطعام عشرات الأيام ..!

إن القول بأن الإنقطاع عن الطعام أمر يميت أو يضر، هو نوع من التخويف بأمر لا وجود له. وهو أوهام لا يسندها علم ولا روح .. فلا تخافوا من الإنقطاع عن الطعام، بل على العكس، فإن الإنسان عندما ينقطع عن الطعام، يشعر بالجوع، فيشعر أنه ضعيف، ويكلم الله بإنسحاق.

الصوم الكبير فترة روحانية

وفترة الصوم الكبير، هى فترة روحانية، كان القديسون يقضونها بأسلوب خاص من أساليب الحياة، ولا يجعلونها فترة عادية! وأننى أريدكم أن تشعروا

أنتم أيضاً، أن أيام الصوم هى أيام غير عادية فى حياتكم .. أريدكم أن تشعروا بأنها أيام مقدسة ..

ونحن نقدس الصوم أكثر من الأفطار. لقد تعود الناس أن يعيدوا عندما ينتهى الصوم .. ونحن نريد أن نعيد فى بداية الصوم، لأننا بذلك ندخل إلى فترات روحية تقرب الإنسان من الله.

نريد أن نسر ونبتهج ونفرح بفترة الصيام، لأنها فترة روحية فى حياتنا، وأن ندرب فيها أنفسنا على وضع جديد، وحياة جديدة .. ندرب أنفسنا على الروحيات اللائقة بالصيام، لأن هذه هى أقدس أيام فى السنة.

وأعلموا – جميعاً – أن الخطية التى يخطئها الإنسان فى فترة الصوم الكبير، تكون أكثر جسامة، وأكثر وقعاً من تلك التى يخطئها فى الأيام العادية .. ذلك لأن اقتراف الخطية أثناء الصوم، يعنى أن الإنسان يستهين بالصيام، ولا يحترمه.

الصوم والاعتكاف

أننا داخلون على أيام مقدسة، لها قراءات خاصة فى الكنيسة، وطقوس خاصة، وألحان خاصة، ولها أيضاً صلوات خاصة .. لأن لها أهمية خاصة، فهى أيام غير عادية. لقد كان الناس قديماً يقرنون الصوم بالاعتكاف، لذلك يقول يوئيل النبى " قدسوا صوماً" (يوء ٢: ١٥)..

والسيد المسيح عندما صام، اعتكف وذهب إلى الجبل، وبقى هناك وحيداً أربعين يوماً وأربعين ليلة، أمضاها فترة اعتكاف .. لأن الصوم يليق به الاعتكاف.

وكذلك موسى النبى، عندما صام أربعين يوماً، فعل ذلك أيضاً وهو معتكف .. حيث كان على الجبل، مع الله، وبعيداً عن الناس .. وكذلك أيضاً فعل إيليا النبى. **فالصوم يليق به الاعتكاف .. لماذا؟**

لأن الإنسان – فى الاعتكاف – يجلس إلى نفسه، ويستطيع أن يحاسب نفسه، وينظر إلى نفسه، ويعرف ماذا بداخله؟ .. ويفكر: ماذا يمكن أن يعمله من أجل اصلاح هذه النفس.

وأيضاً الإنسان – فى الاعتكاف – لا يضيع وقته بالإنشغال فى الأباطيل و الأمور التافهة ... كذلك، فإن الإنسان – فى الاعتكاف – يبعد عن العزاء البشرى، لكى يتحد بالعزاء الإلهى. والإنسان – مع الناس – يبهج نفسه بعواطف الناس .. بينما هو – بالاعتكاف – يبهج نفسه بالعواطف مع الله.

ويستطيع الإنسان – فى الاعتكاف – أن يقرأ، وأن يحفظ، وأن يقضى هذه الفترة فى التأمل، والترتيل، والعبادة ...

إن فترة الاعتكاف، كلها دسم، ولا تكون وقتاً ضائعاً، بل يمكن أن يستفيد منها بقدر ما يستطيع ..

ولست أقصد بالاعتكاف، الإنقطاع الكامل عن الناس، ولكن – على الأقل – الاعتكاف عن المقابلات والزيارات التى لا لزوم لها، بحيث لا يضيع الوقت فيما لا ضرورة له.

أقول هذا، ولكننى أضع أستثناء بالنسبة للذين يضرهم الاعتكاف .. ذلك لأن الاعتكاف قد يكون – بالنسبة للبعض – فرصة للأفكار الشريرة. كما قد يكون – بالنسبة للآخرين – الذين ليست لهم الطاقة الروحية، التى لا تمكنهم من قضاء وقت طويل فى العبادة .. فرصة للملل والسأم ..

إن جلوس الإنسان – وحده – مع الله، أحسن بكثير جداً من جلوسه فى حديث باطل مع الناس .. ولكن جلوس الإنسان مع الناس، أفضل من جلوسه وحده مع الأفكار الشريرة. فسِر على قدر طاقتك، وفى قامتك الروحية، وحسب سعة قلبك للوحدة والتأمل.

الصوم والصلاة

إن الصوم يكون مقروناً بالاعتكاف، ويكون أيضاً مقروناً بالصلاة. وليس الصوم مجرد فضيلة جسدية، وإلا نكون، فى ذلك، مثل الآخرين .. فنحن نصوم لنعطى فرصة للروح، ولا نصوم فقط من أجل أخضاع الجسد .. وإنما نصوم أيضاً من أجل تغذية الروح والسيطرة على النفس، وعلى الفكر، وتوجيهه توجيهاً سليماً ..

الصوم .. مفروض أن يقرن بالصلاة .. وفى الصوم ينبغى أن تضعوا لأنفسكم برنامجاً فى الصلاة .. والذى يقصر فى الصلاة فى الأيام السابقة، فليبدأ ذلك فى الصوم، وليضع لنفسه برنامج صلاة، سواء من جهة صلوات المزامير، أو الصلوات الخاصة، أو صلوات الأنبياء والقديسين، وكذلك الألحان والقداسات.

وياليت يكون لكم أجتماعات صلاة فى فترة الأربعين المقدسة. كذلك فمن الممكن خلال فترة الصوم الكبير، أن يضع الإنسان لنفسه برنامجاً لحفظ الكتاب المقدس، والألحان الطويلة .. المهم، فليكن لكم – فى الصوم – برنامج تستفيدون به من روحانية هذا الصيام.

ما هى الصلاة؟ وكيف تكون؟

الصلاة هى أرقى ما فى الروحيات، وكل اعمالنا الروحية من المفروض أن تقودنا إلى الصلاة، وأن تكون مصحوبة بالصلاة.

وإذا وصلنا إلى الصلاة بمفهومها الحقيقى، نكون قد وصلنا إلى علاقة حقيقية مع الله. نستطيع حينئذ أن نبطل كل عمل، ونبقى فى الصلاة وحدها، وكفى ..

ليست الصلاة فرضاً، وليس مجرد أمر من الله أو وصية علينا أن ننفذها، على الرغم من وجود وصايا كثيرة خاصة بالصلاة، وليست هى إضطراراً ولا إرغاماً ... إذن ماذا تكون؟

الصلاة – ببساطة – هى علاقة حب مع الله ...

إنساناً يحب الله. ومن محبته له، يريد أن يكلمه بإستمرار ... وبكثرة الحديث معه، توجد عشرة، وصداقة، ويتعمق الحب، وتتعمق الصلاة بالأكثر.. يدخل إلى أعماق الله، ويدخل الله إلى أعماقه، وتتقدم الصلاة خطوة أخرى..

فى الأول، كان الإنسان فى الصلاة يتكلم مع الله .. ثم صار الله يتكلم أيضاً معه، يتحدث فى قلبه.

يرشده، يقوده، يملؤه من المشاعر الروحية، يوحى إليه بمعان جديدة لعبارات الصلاة، ومعان جديدة لآيات الكتاب ما كانت تخطر له من قبل. وصدق الشيخ الروحانى حينما قال: **سكت لسانك، ليتكلم قلبك .. وسكت قلبك ليتكلم الله ..**

كانوا القديسون يصمتون، ليس خوفاً من أخطاء اللسان، فأفواههم كانت مملوءة حكمة وبركة. وإنما كانوا يصمتون لتكون لهم فرصة أطول للكلام مع الله. وفى الكلام مع الله كانت متعتهم الروحية، لذتهم وشهوة قلوبهم.

لذلك فإن القديس أرسانيوس معلم أولاد الملوك، حينما سأله القديس مكاريوس الإسكندرانى "لماذا تفر منا يا أبتاه؟"، أجابه: يعلم الله أننى أحبكم جميعاً. ولكنى لا أستطيع أن أتحدث مع الله ومع الناس فى نفس الوقت.

لذلك يقول بعض آباء الرهبنة "الشخص الكثير الكلام، يدل على أنه فارغ من الداخل".

والمقصود بعبارة (فارغ من الداخل)، أنه – أثناء كلامه – لايوجد فى داخله عمل روحى مع الله. لقد شغله الكلام عن العمل الجوانى، عن العمل الروحى الخفى السرى، داخل القلب ...

هذا الإنسان المشغول فى الأحاديث العالمية، ليس لديه وقت للحديث مع الله ...، الله يدعوه إلى التحدث معه فيجيب: **"أذهب الآن، ومتى حصل لى وقت، أستدعيك " !!**

ما أعجب الذين يعتذرون عن الصلاة، بأنه ليس لديهم وقت !! بينما يضيع الكثير من وقتهم فى أمور تافهة لا تفيدهم شيئاً: فى مناقشات غبية، وفى مجادلات وتسليات وثرثرة، وفى الأخبار والتعليق عليها، وفى التسليات... وربما يضيع وقتهم فى خطايا ..

ليتهم يوفرون جزءاً من وقتهم الضائع، للصلاة ...

من الصعب أن يدعى إنسان بأنه ليس لديه وقت للصلاة. والأجدر أن

يقول فى صراحة إنه ليست لديه رغبة. لأنه إن وجدت الرغبة والإرادة، فلابد أن يوجد الوقت ..

إن الدافع الحقيقى للصلاة، هو الرغبة فى الوجود مع الله.

إنه الإشتياق إلى الله، كما يقول داود النبى " كما يشتاق الأيل إلى جداول المياه، هكذا أشتاقت نفسى إليك يا الله .. عطشت نفسى إليك، متى أجىء وأتراءى أمام الرب". إنسان لا يحتمل أن تمر عليه فترة غربة عن الله ...

إن مر عليه وقت لم يتحدث فيه مع الرب، يشعر بحنين شديد فى داخله، يلح عليه بقوة أن يركع ويرفع يديه إلى فوق، أو على الأقل يرفع قلبه إليه، بأى وضع ...

هل جربتم الحنين إلى الله؟

هل ذقتم حلاوة الصلاة التى ليست هى كلاماً، وإنما حب ..؟ هى حركات فى القلب، حتى بدون أية حركة من الشفتين ...

صلاة الحب هذه تتميز بأنها لا تحارب أبداً بالملل ... قد يستمر الوقت بالساعات، كحبيب أختلى بحبيبه، أو صديق يناجى صديقه، دون أن يشعر بالوقت ...

إن وصلت إلى هذا الوضع، سوف لا تحتاج أن تتعلم كيف تصلى. بل ستفتح قلبك، ويعلمك الروح كل شىء...

وكما سُئل أحد القديسين "كيف أتعلم الصلاة؟" فأجاب "بالصلاة".

الصلاة حينئذ ستكون مدرسة، تعلمك الحياة مع الله. وإن وصلت فى حياتك مع الله إلى هذه الصداقة والألفة، حينئذ ستتكلم معه بكل صراحة

وبغير كلفة، ستعرف معنى "الدالة مع الله" ...

إن مشكلتنا الأولى فى الصلاة، أن الله بالنسبة إلينا ليس فى مركز القلب ...

أننا نتحدث إليه، كما لو كان بعيداً، أو كان غريباً عنا. علاقتنا به ما تزال فى نطاق الرسميات وليس الحب. وهنا نقف أمام سؤال جوهرى، يفرض نفسه علينا.

هل محبتنا لله تعلمنا الصلاة؟ أم أن الصلاة توصلنا إلى محبة الله؟ وبأى الإثنين نبدأ؟

إن كنت قد وصلت إلى محبة الله، فلابد أنك ستصلى صلوات مملوءة بالحب. وإن لم تكن قد وصلت إلى هذه الدرجة، فأطلب فى صلاتك أن يمنحك الله محبته، يسكب محبته فى قلبك بالروح القدس. صل وإن كنت لا تحب، وأطلب المحبة بلجاجة.

فإن الصلاة مفتاح لكل الفضائل، بها تطلب من الله أن يدخل فى حياتك، وأن يقود هذه الحياة فى طريق سليم.

الصلاة تدخلك فى حياة الشركة مع الله ...

إن كان الرب قد قال "بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً" (يو ١٥: ٥). فيجب إذن أن تتأكد من أن الله يشترك معك فى كل عمل، بل أيضاً فى كل فكر، وفى كل شعور، وفى كل حركة. وهذا لا يتأتى إلا بالصلاة لكى تظهر للرب رغبتك فى اشتراكه معك، وتحيا فى هذه الشركة المقدسة ...

بهذا لا تكون الصلاة عملاً روحياً تقوم به فى وقت معين، إنما تدخل

الصلاة فى كل عمل من أعمالك ...

وهكذا تصلى فى كل حين ولا تمل، وتدخل فى حياة الصلاة، لكى يدخل الله فى حياتك، بكل تفاصيلها. ثم تتدرج إلى خطوة أخرى، فلا تطلب الله كمعين يعينك فى كل عمل تمتد إليه يدك، إنما تطلبه لذاته.

فالأنسان القديس – حينما يصلى – لا يطلب من الله شيئاً، وإنما يطلب الله نفسه. وكما قال داود النبى "طلبت وجهك، ولوجهك يارب ألتمس. لا تحجب وجهك عنى" (مز ٢٧).

كلما تزداد محبة الإنسان لله، حينئذ تصغر قيمة كل الأشياء فى نظره، ويحسبها كنفاية. وحينئذ يصبح الله بالنسبة إليه هو الكل فى الكل، ولا تعود له شهوة أخرى سوى الله، ويخجل فى صلاته من طلب أى شىء آخر، بل أنه يقول مع المرتل "ومعك لا أريد شيئاً على الأرض" (مز ٧٣ :٢٥).

حينئذ تصبح الصلاة بالنسبة إليه هدفاً لا وسيلة.

هو لا يصلى ليطلب، إنما يصلى لأن الصلاة هى لذته وشهوته ومتعته، بها يشعر بالوجود فى حضرة الله، وهذا أيضاً يكفى.

وبالصلاة ينقله الله إلى جو من المشاعر الروحية، فيحس وكأنه فى السماء وليس على الأرض،

ويختبر ما أسماه القديسون (مذاقة الملكوت) فيذوق وينظر ما أطيب الرب.

لذلك آباؤنا القديسون فضّلوا الصلاة على كل عمل آخر ..

ومن أجل الصلاة تركوا كل شىء وأنفردوا بالله. ولم يصلوا من أجل

أحتياجهم إلى شيء، وإنما من أجل محبتهم لله. وكانت محبة الله تشبعهم، ومعهم لا يعوزهم شيء.

ليتنا إذن نبدأ بهذا: شعور النفس بأحتياجها إلى الله ..

شعورها بأنها بدون الله تحيا فى فراغ. وفراغ مؤلم قاس، لا يمكن أن يملأه إلا الله. ولهذا تلجأ النفس إلى الصلاة كتعبير عن محبتها لله، وكإشباع للشوق الذى يلهبها من الداخل ...

حينئذ لا نقول إن الله يطالبنا بأن نصلى، وإنما رغبة قلوبنا وإحتياجها إلى الله، تدفعنا إلى الصلاة، لنتمتع به ...

وبهذا، فأننا فى الصلاة لا نقدم لله طلباتنا، وإنما نقدم قلوبنا، نقدم مشاعرنا وعواطفنا وحبنا.

وتكون الصلاة إنسحاباً من العالم، وإرتماءاً فى أحضان الله. وتكون شعوراً بأن العالم لم يعد يشبعنا بكل ما فيه، لأن أرواحنا تجد شبعها بعيداً عن العالم، فى الله وحده، فى خلوة معه، حيث تنحل من كل شيء، لكى ترتبط به وتنسى كل شيء، ولا يبقى فى ذهنها سواه، كما قال الرسول " تركنا كل شيء وتبعناك" (مت ١٩: ٢٧).

هنا حقاً نحس عمق عبارة القديس الذى سألوه: **"ماهى الصلاة؟ " فأجاب "هى الموت عن العالم".** إن ماتت نفوسنا عن العالم، حينئذ تحيا بالله، وحينئذ تعرف كيف تصلى ... وتكون صلاتها بلا طياشة فكر.

إن طياشة الفكر أثناء الصلاة، دليل على أن المصلى ما يزال مرتبطاً بالعالم بطريقة ما، ودليل على أن بعض أمور العالم ما تزال لها أعماق فى

النفس، والنفس تهتم بها، والفكر مرتبط بها ...

بل إن هذه الطياشة دليل على أن الله لم يملك العقل بعد، وهناك ما يشاركه فيه...

"أيها الآب السماوى، ليأت ملكوتك ... أنظر يارب إلى هذا القلب، وطهره من كل فكر غريب، لكيما يصبح كله لك ... أمنحنا وقت الصلاة فكراً نقياً، لا ينشغل عنك بشىء. أمنحنا الحب الذى يحرق كل الإهتمامات الأخرى، وتبقى أنت وحدك".

الفصل الخامس

حياتنا بين الروح والجسد

حياتنا بين الروح والجسد°

بمناسبة ما يحدث فى الصوم من سمو للروح وإخضاع للجسد، أريد أن أتحدث عن حياة الروح والإنتصار على الجسد .. أو حياتنا بين الروح والجسد.

لنتأمل قول معلمنا بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى كورنثوس: "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم، الذى لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم؟ لأنكم أشتريتم بثمن. فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله" (١كو ٦: ١٩، ٢٠).

ونضيف إلى هذا ما جاء بالإصحاح الثامن من رسالة القديس بولس إلى أهل رومية "لا شىء من الدينونة الآن على الذين فى المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح" (رو ٨: ١). ويقول أيضاً "أهتمام الجسد هو موت، ولكن أهتمام الروح هو حياة وسلام. لأن أهتمام الجسد هو عداوة لله" (رو ٨: ٦، ٧).

ويقول أيضاً " أما أنتم فلستم فى الجسد بل فى الروح، إن كان روح الله ساكناً فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح، فذلك ليس له. وإن كان المسيح فيكم، فالجسد ميت بسبب الخطية، وأما الروح فحياة بسبب البر" (رو ٨: ٩، ١٠).

ويقول أيضاً " نحن مديونون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد. لأنكم إن

° القيت هذه المحاضرة مساء الجمعة الموافق ٨ فبراير ١٩٧٤.

عشتم حسب الجسد فستموتون، ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون. لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله" (رو ٨: ١٢- ١٤).

ما هى علاقتنا بالجسد؟ .. وهل الجسد خطية؟ إن الجسد ليس خطية وليس شراً، ويكفى أن الجسد خلقه الله .. الجسد ليس شراً أيضاً، لأن السيد المسيح أخذ جسداً .. أتحد بجسد. الجسد ليس شراً لأنه هيكل للروح القدس، والروح القدس ساكن فيه ...

ما هى النظرة السليمة للجسد؟

إن الجسد هو شىء مقدس نزل فى مياه المعمودية المقدسة، وخرج شيئاً جديداً بطبيعة جديدة .. والجسد شىء مقدس دهن بزيت المسحة المقدسة فى الميرون .. الجسد هيكل لله .. هيكل للروح القدس، والروح القدس يسكن فيه.

إن جسدك إذن هو كنيسة صغيرة مدشنة بزيت الميرون المقدس .. جسدك كنيسة صغيرة يسكنها الله، والمفروض أن تخرج منه تسابيح و تراتيل وأغانى روحية .. جسدك هو ذبيحة مقدسة كما يقول بولس الرسول فى (رو ١٢: ١) "أطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله".

مفروض إذن أن يكون الجسد ذبيحة مقدسة تعبق كرائحة البخور .. الجسد المقدس هو الجسد الذى يخضع للروح، ويتعاون مع الروح فى طريق الله، وينقاد لروح الله الساكن فيه.

إن أجساد القديسين تحفظ بعد موتهم فى الكنيسة، كذخائر مقدسة وككنوز نضع أيدينا عليها فنتبارك، وبها تحدث معجزات ... إن لعازر المسكين

عندما مات، أتت الملائكة وحملت جسده .. وإن كان جسده قد أودع فى قبر، إلا أن روحه قد حملت إلى أحضان إبراهيم. إن القديس بولس الرسول كانت الخرق التى على جسده تشفى الأمراض، وتطرد الأرواح الشريرة، كما يقال فى صلاة القسمة المقدسة.

إن الجسد الطاهر له مكانة كبيرة عند الله، فهو يمثل حياة الإنتصار على المادة .. إن الإنسان الذى يحيا الإنتصار وهو فى الجسد، هو عند الله أعظم من الملائكة، لأن الملائكة تطيع الله وليس لها جسد يحاربها، أما الإنسان القديس فهو يطيع الله منتصراً على عوائق الجسد والمادة.

الجسد ليس إذن شراً وخطية .. لقد خلقه الله .. والله أخذ جسداً .. والله قد قدس جسدنا بسر المسحة المقدسة وبالميرون .. فى سر الميرون يرشم الإنسان ستة وثلاثون رشماً فى كل جسمه. إن الجسد الطاهر هو هيكل للروح القدس والروح القدس يسكن فيه، لذلك يقول بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس "فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله" (١كو ٦: ٢٠).

لا تظنوا أننا نمجد الله فى أرواحنا فقط .. إننا نمجده فى أرواحنا وأجسادنا أيضاً ... إن جسد السيدة العذراء صعد إلى السماء لأنه كنز مقدس لا تستحقه الأرض.

مجدوا الله فى أرواحكم وأجسادكم.

إن الذى يخطىء بجسده، إنما يحتقر قداسة هذا الجسد. إن الذى يخطىء بجسده، إنما يدنس هيكلاً من هياكل الروح القدس. إن الذى يخطىء بجسده،

إنما يحطم كنيسة مقدسة يسكنها الله، التى هى جسده. إن الذى يخطىء إلى جسده، يظن أن جسده مجرد مادة، ولا يعتقد أن جسده هو هيكل للروح القدس.

أنظروا دائماً إلى أجسادكم كأنها هياكل لله، لأن الله قال هكذا .. أنظروا إلى أجسادكم كأوانى تسكنها الروح، أو أدوات تعمل بها الروح. إن رغبات الروح المقدسة، يشترك الجسد فى أدائها. فعندما ترغب الروح أن تصلى، يقف الجسد ويبسط يديه، ويرفع نظره إلى فوق ويركع ويسجد، ويشترك مع الروح فى أبتهالات.

لا تظنوا أن الروح هى التى تختص بالروحيات، أما الجسد فيختص بالماديات. كلا .. إن الجسد يشترك مع الروح فى الروحيات أيضاً. الجسد يصوم ويسهر فى العبادة، ويشترك فى الصلاة والركوع والسجود. الجسد يتناول جسد المسيح و دمه فى سر الأفخارستيا، فيتقدس الجسد بالأسرار المقدسة فى سر التناول. الجسد يجاهد ويتعب فى الخدمة والأفتقاد.

إن الجسد رفيق الروح فى طريق الله ...

أجساد الشهداء القديسين تعبت كثيراً من أجل الله، وصارت مقدسة، وأشتركت مع الروح فى شهواتها الروحية ..

أجساد النساك فى البرارى تعبت من أجل الله. مجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله .. أستخدم جسدك كخادم للروح ولله .. أستخدم جسدك كهيكل مقدس للروح القدس، كذبيحة مرضية لله .. أتعب هذا الجسد ليستريح فى اليوم الأخير، وأشركه معك فى كل عمل روحى. إن الذى يقصر فى الصوم، لا يريد أن يشرك جسده فى العمل الروحى .. إن الذى

يسير وراء الشهوات، يذل روحه للجسد. والإنسان الذى يخضع للجسد يصبح كالحيوانات، بينما الذى تنتصر روحه على الجسد يصبح كالملائكة.

مجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله .. لا تجعلوا الجسد خادماً للخطية والشهوات والمادة .. عيشوا للروح وليس للجسد .. وبولس الرسول يقول: إهتمام الجسد هو موت .. وأيضاً يقول: أهتمام الجسد عداوة لله .. حقاً إنها عبارة مخيفة! .. تصوروا أنكم فى أهتمامكم بالجسد، تصبحون أعداء إلى الله .. من يقبل هذا؟

إن آدم وحواء دخلا فى عداوة مع الله، لأنهما أهتما بالجسد وليس بما لله، ولذلك حرمهما الله من كرامة الجسد ... كانا جسدهما فى كرامة ليس فيه ما يخجل، فلما زالت كرامة الجسد بالخطية، أصبحا يخجلان من جسدهما ويستران عريهما.

إن الجسد الطاهر نير ... والجسد النير قيل عن أجساد القيامة ..

إن الإنسان الذى يعيش فى القداسة له جسد نورانى روحانى، حتى أننا نرسم القديسين وحولهم هالة مضيئة من النور، إشارة إلى أن أجسادهم نيرة .. كانوا نوراً للعالم بأجسادهم وأرواحهم أيضاً.

إن الإنسان الذى يهتم بشهوات الجسد ورغباته وغرائزه، إنما يعيش فى موت، ولذلك قال الأب عن أبنه الضال "ابنى هذا كان ميتاً" (لو ١٥: ٢٤) .. إن الأهتمام بالروح حياة وسلام .. والإهتمام بالجسد موت ..

لقد خلقنا الله لنحيا بالروح .. نسلك حسب الروح وليس حسب الجسد .. لقد خلقنا لنهتم بالروح التى خلقت على صورة الله ومثاله .. الروح التى كانت نفخة من فم الله قبل أن تودع فينا .. إن الإنسان الذى يعيش خاضعاً للجسد،

ويعيش ذليلاً له، ينطبق عليه قول السيد المسيح: "أعداء الإنسان أهل بيته" (مت ١٠: ٣٦). ذلك لأن غرائزه وشهواته أصبحت ضده.

فلينظر الإنسان إلى ما تطلبه روحه، يهتم براحتها فيريح الله فى أحشائه.. عليه أن يعطيها غذاءها، يعطيها الصلاة والتأمل والفضيلة التى تتغذى بها .. يعطيها محبة الله، لأن الروح تتغذى بمحبة الله .. عليه أن يسلك حسب الروح ..

إن الذى يسلك حسب الجسد نسميه "إنسان جسدانى"، وهو يعيش بالتراب ويحيا بالمادة التى تقوده، ويركز أهتمامه فيها .. إن الإنسان الروحى عندما يغذى روحه فإنه يطعم جسده، والذى يتعب من الصوم، هو المتعب روحياً، ولهذا إذا أجعتم الجسد فعليكم أن تطعموا الروح، لأن الروح الشبعى تغذى الجسد وتحمله إلى فوق.

إن الإنسان الذى الذى ينتصر على جسده، لا يكون عبداً للمادة فتستعبده عادة من العادات، أو تستعبده الأطعمة والمشروبات والشهوات .. هو حر طليق.

إن الحرية الأولى التى ينالها الإنسان هى حريته الداخلية .. عليه أن يتحرر أولاً من الداخل .. يتحرر من عبودية الجسد وأثقاله وشهواته ورغباته وإندفاعاته .. نحن نقبل الجسد كخادم للروح، ولكننا لا نقبله سلطاناً على الروح يأمرها فتخضع .. فى فترة الصوم دربوا أجسادكم على أن تكون فى خدمتكم، ولا تقبلوا أطلاقاً أن يكون للجسد سلطاناً عليكم.

فى طريق الروح أطلب حريتك ..

لقد فقدنا هذه الحرية يوم أكلنا من الشجرة، ففقدنا حريتنا ونحن فى

الفردوس، ونريد أن نستعيدها .. نريد أن نكتب عتق أنفسنا ونصبح أحراراً .. الروح حرة طليقة، تمارس شهواتها الروحية ورغباتها الإلهية، فى يسر وفرح، بلا عوائق.

الصوم يرفعنا فوق مستوى المادة.

وهنا يليق بنا أن نتامل فى قول بولس الرسول "غير ناظرين إلى الأمور التى تُرى، بل إلى التى لا تُرى. لأن الأمور التى تُرى وقتية، أما التى لا تُرى فأبدية" (٢كو ٤: ١٨).

ناظرين إلى ما لا يُرى

الإنسان فى الصوم، يرتفع فوق مستوى المادة، فوق مستوى الأكل والطعام، وكلها من الأشياء التى تُرى.

كل هذه الأمور التى تخضع للحواس، هى مؤقتة، لابد أن تنتهى بعد حين، ومنها المادة والجسد والعالم.

ولهذا قال الرب " السماء والأرض تزولان ". وقال القديس يوحنا فى سفر الرؤيا " أبصرت سماء جديدة وأرضاً جديدة، لأن السماء الأولى والأرض الأولى قد مضتا، والبحر لا يوجد فيما بعد" (رؤ ٢١: ١). إن العالم كله من الأشياء الوقتية التى تُرى.

والذى يرتفع فوق المرئيات، يرتفع فوق العالم ومحبته. ولهذا تذكرنا الكنيسة فى كل قداس بقول الكتاب "لا تحبوا العالم، ولا الأشياء التى فى العالم، لأن العالم يبيد وشهوته معه". إنها كلها أمور وقتية زائلة ...

والكتاب قد شرح محبة العالم ولخصها فى أمور هى: " **شهوة الجسد،**

وشهوة العين، وتعظم المعيشة". من الأمور التى لا تُرى. إن كنت غير ناظر إلى الأمور التى تُرى، فلا تنظر إلى شهوة الجسد، ولا إلى شهوة العين، ولا إلى مظاهر العظمة العالمية ...

الجسد نفسه من الأمور التى تُرى، الأمور الوقتية. لأن هذا الجسد سنخلعه، وسينتهى. وعندما تقوم الأجساد فى اليوم الأخير، سنقوم بأجساد نورانية روحانية، غير قابلة للفساد (١كو ١٥). ليست من نوع هذه الأجساد الوقتية التى تُرى بالحواس ... ما دامت الأمور التى تُرى وقتية، إذن ليس من الحكمة أن نهتم بأمور زائلة ونترك الأبديات ...

ليس من الحكمة أن نضحى بالأمور الأبدية فى سبيل أمور وقتية. فقد قال الرب " ماذا يستفيد الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟".

الله روح، والإنسان الذى هو صورة الله، يكون روحانياً، ويهتم فيما للروح، أى فيما لا يُرى، ولا يهتم بأمور الجسد، لأنها من الأمور التى تُرى، الوقتية. وعبارة (غير ناظرين) معناها إن هذه الأمور التى تُرى، لا نعطيها من إهتمامنا، ولا من عاطفتنا وقلبنا، ولا من وقتنا. لا يكون لها وزن عندنا على الإطلاق، من فرط إهتمامنا بما لا يُرى.

هذه النظرة أوجدت الرهبان والنساك والسواح والمتوحدين.

لقد نظروا إلى كل ما يُرى، فإذا هو زائل وفان، لا يستحق إهتمامهم، فإرتفعوا فوق مستواه، وفوق كل رغبة فيه، وماتوا عن العالم، عن المرئيات، وتغربوا عنه، من فرط عظم محبتهم للملك المسيح ...

ولقد دخل سليمان الحكيم فى هذه الخبرة من ناحيتيها.

عاش فى جو المرئيات إلى عمقه. وقال عن نفسه "بنيت لنفسى بيوتاً، غرست لنفسى كروماً. عملت لنفسى جنات وفراديس .. قنيت عبيداً وجوارى، جمعت لنفسى أيضاً فضة وذهباً وخصوصيات الملوك. إتخذت لنفسى مغنين ومغنيات، وتنعمات بنى البشر سيدة وسيدات .. ومهما أشتهته عيناى لم أمنعه عنهما ..." (جا ٢: ٤ – ١٠).

وماذا كان رأيه فى قمة هذه الأمور التى تُرى؟ قال " رأيت الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس ".

أول خطية فى العالم كان سببها النظر إلى المرئيات...

فنظر آدم وحواء إلى الأشياء التى تُرى، فوجدا الشجرة شهية للنظر وبهجة للعيون، وجيدة للأكل ...

عكس هذين الأبوين، كان يوسف الصديق. عرضت عليه الأشياء التى تُرى، فى عمق إغراءاتها، فلم ينظر إليها. كان ناظراً إلى الله. فقال " كيف أخطىء وأفعل هذا الشر العظيم أمام الله ". الذى لا يُرى.

نفس المشكلة يمثلها لوط وإبراهيم ...

لوط كان ناظراً إلى الأشياء التى تُرى، إلى الأرض المعشبة "التى كجنة الله، كأرض مصر". وهكذا دخل إلى سادوم. أما ابراهيم فكان ناظراً إلى الله، فرضى بالصحراء القاحلة، يكفيه أن فيها الله الذى لا يُرى.

ومثل ابراهيم كان آباؤنا الذين حسبوا أنفسهم غرباء على الأرض، ناظرين إلى المدينة التى لها الأساسات التى بارئها الله.

هؤلاء كانت نظرتهم مركزة إلى الأبدية التى وعدهم الله بها، لم يروها

بالعين ولم ينالوا المواعيد، لكنهم نظروها من بعيد (بالإيمان) وصدقوها، وأقروا أنهم غرباء على الأرض ..

وقد عبّر عنهم داود النبى فقال " غريباً عشت على الأرض، نزيلاً مثل جميع آبائى". ذلك لأن قلبه كان فوق. "وحيث يكون كنزك، هناك يكون قلبك" ...

هؤلاء عرفوا حقيقة الحياة، وتفاهة جميع المرئيات، فلم يعطوها قيمة وأهتماماً. حتى إن أستخدموها ... يقول فى ذلك الرسول "يكون الذين يستعملون العالم كأنهم لا يستعملونه"...

بعض هؤلاء القديسين كانوا أغنياء، وكان لهم مال وقنية. وكانوا يمتلكون المال، ولكن المال لم يكن يملكهم. لأنهم لم يكونوا ناظرين إليه. إنما نظروا إلى الخير الذى يفعلونه به. والخير من الأمور التى لا تُرى، لأنها معنوية ..

موسى النبى كان مثالاً فى الأرتفاع فوق مستوى المرئيات ...

كان أميراً، وقائداً، وأمامه الغنى والعظمة العالمية، والمستقبل. ولكنه "لما كبر، أبى أن يدعى ابن إبنه فرعون"، ولم ينظر إلى كل هذا، بل على العكس "حسب عار المسيح أفضل من كل غنى فرعون". "وفضل أن يذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتى بالخطية" ...

مثال آخر قوى، هو الشهداء والمعترفون ...

تقدموا إلى الموت، غير ناظرين إلى العالم وكل ما فيه، رافضين كل العروض المغرية لغيرهم. بل كانوا أيضاً غير ناظرين إلى ما يُرى من آلات

التعذيب .. لأنهم كانوا ينظرون إلى مالا يُرى، أعنى الأكاليل التى تنتظرهم فى الأبدية السعيدة ..

يمكن أن عبارة (ما يُرى) تشير إلى الحياة الحاضرة ... بينما عبارة (مالا يُرى) تشير إلى الحياة الآخرة.

فهل أنت ناظر إلى هذا العالم أم إلى أبديتك؟ أم أنت بالإيمان ناظر إلى ما لا يُرى؟

حتى فى عمل الله، تصلح هذه الآية أيضاً .. فى مثال الخمس خبزات والسمكتين، نظر التلاميذ إلى (ما يُرى) فقالوا: ما هذا لمثل هؤلاء؟ أما المسيح فنظر إلى فوق ورأى البركة (التى لا تُرى) التى ستحل على الخمس خبزات والسمكتين.

مثال الخمس خبزات والسمكتين، ينطبق أيضاً على العشور. إذا نظرت إلى الأمور التى تُرى، إلى المال القليل الذى معك، ربما لا يكفى أن تدفع منه العشور، فيحاربك الفكر بعدم تقديمها لله. أما إذا نظرت إلى ما يُرى، إلى البركة التى تجعل القليل كثيراً، فإنك ستدفع بسرور.

فى تجربة المسيح على الجبل، نرى هذا المبدأ الروحى أيضاً: الشيطان يجرب بالخبز، بالأمور التى تُرى. أما السيد المسيح، فيرفع المستوى إلى فوق، إلى كل كلمة تخرج من فم الله، إلى غذاء الروح الذى لا يُرى ..

ونفس الوضع نجده فى حديث الرب مع السامرية.

السامرية تتحدث عن السجود فى هذا الجبل، أو فى أورشليم، فى أماكن تُرى. أما المسيح فيتكلم عن السجود بالروح والحق، فوق مستوى المرئيات.

هى تتكلم عن الماء المادى وبئر يعقوب، وهو يتكلم عن الماء الحى الذى لا يُرى ...

وموضوع الملكوت، دخل أيضاً فيما يُرى، ومالا يُرى ...

السيد المسيح عرضوا عليه المُلك الأرضى، فرفض، لأن ذلك من الأمور التى تُرى، الوقتية. ورفع نظر الناس إلى مالا يُرى، فقال "مملكتى ليست من هذا العالم" ...

وجعل هذه الصلاة فى أفواه تلاميذه "ليأت ملكوتك" ملكوتك الذى لا يُرى... وقد جذب المسيح تلاميذه إلى هذا الملكوت، فقال لهم "أنا ماض لأعد لكم مكاناً. وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً، آتى وآخذكم إلىّ" "إن أرتفعت، أجذب إلىّ الجميع".

وفى كلامه عن الصليب، نرى هذا المبدأ الروحى كذلك.

كان المسيح يرى فيه ما لايُرى: الحب، والبذل، والفداء، والخلاص، والوفاء بالعدل الإلهى. أما الناظرون إلى ما يُرى، فلم يروا فى الصليب إلا خشبة العار، لذلك قال بطرس "حاشاك يارب"، فأنتهره الرب ...

إن القديسين فى نظرتهم إلى مالا يُرى، يختلفون عن المذاهب المادية والإباحية واللاأخلاقية التى تنظر إلى المرئيات ... ويختلفون فى ذلك أيضاً عن المذاهب الوجودية التى تنظر فقط إلى الوجود الحاضر، وليس إلى الوجود فى الأبدية.

ما هى إذن الأمور التى لاتُرى ... هى الله أولاً. يقول عنه داود النبى "تأملت فرأيت الرب أمامى فى كل حين، لأنه عن يمينى فلا أتزعزع". ثم

كل ما يتعلق بالله من غير المرئيات، ملائكته، وسماؤه، وملكوته، وتتأمل فى ذلك كله ...

سؤال نقدمه لك: ما هى نسبة الأمور التى تُرى فى حياتك؟ والأمور التى لاتُرى؟

ثم هل لك العين التى تبصر ما لا يُرى؟

العين المدربة على التأمل فى الروحيات. والعين البسيطة التى لا ترى شيئاً رديئاً، وينطبق عليها قول الكتاب: "كل شىء طاهر للطاهرين". ليتك تغمض عن المرئيات، وتنظر إلى ما لا يُرى...

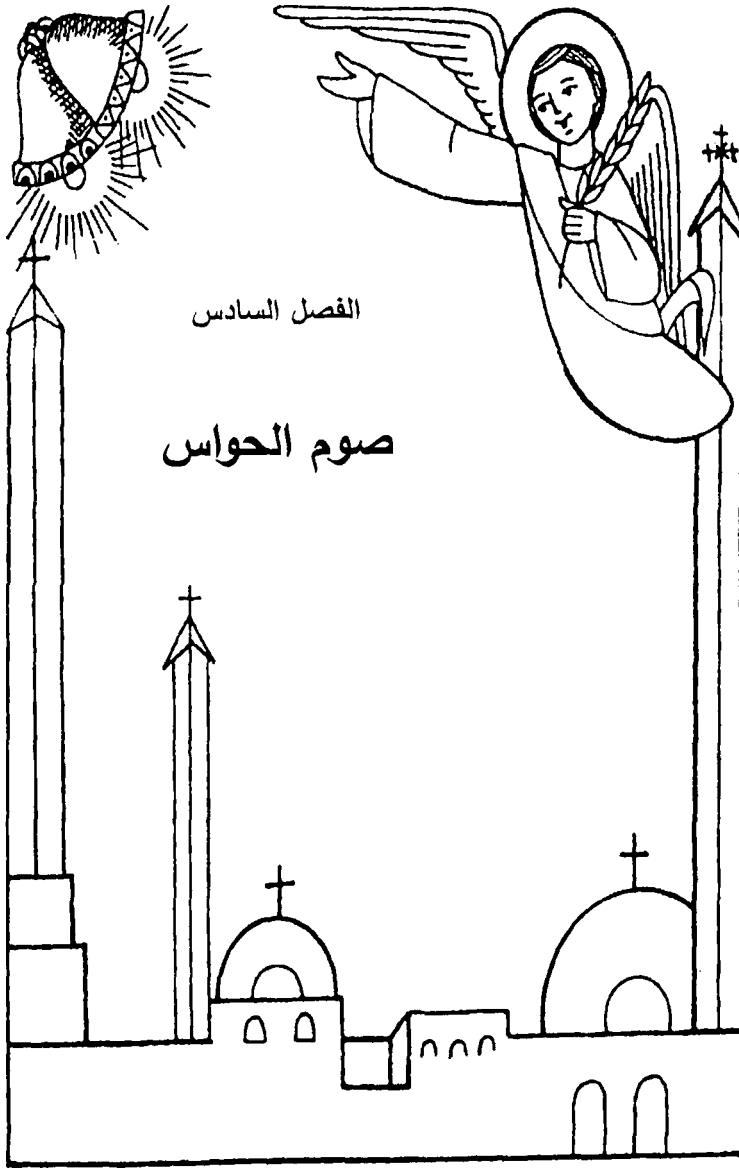

الفصل السادس

صوم الحواس

صوم الحواس[٦]

كنا قد ذكرنا أن صوم الجسد ليس هو كل شيء ... وأن هناك صوم الفكر والقلب وصوم الحواس ... وأنه يجب أن نستخدم الصوم بالطريقة الروحية، ولا نقتصر على صوم الجسد فقط ... وأود اليوم أن أحدثكم عن صوم الحواس.

ما هى الحواس؟

إنها حاسة النظر، والسمع، والشم والمذاق، وهى حواس مادية، لأن لها إتصالاً بالمادة. وهناك أيضاً الحواس الروحية، وهذا نوع آخر. سنتكلم عن الحواس الجسدية، لأنها متصلة بالمادة ولها شيء من الخطورة.

إن الحواس – كما يقول مار إسحق – هى أبواب الفكر، تدخل منها أفكار للذهن ومشاعر للقلب، ولذلك فإن السيد المسيح عندما تكلم عن الحواس، لم يتكلم عنها مجردة، لقد قال "من نظر إلى أمرأة وأشتهاها فى قلبه" .. فهنا ربما تجيء الحواس كالنظر بالشهوة ...

إن مشكلة الحواس هى أنها أبواب للفكر والقلب، وإنها تجيء بالأفكار والمشاعر والعواطف، ومن هنا كان لدى القديسين فضيلة حفظ الحواس أو ضبط الحواس. وليس ضرر الحواس فى أنها تجلب الشهوة فقط، بل لها نتائج كثيرة مثل شهوة الإمتلاك، كذلك توجد نظرة الغيظ والحقد والإزدراء

---

[٦] القيت هذه المحاضرة مساء الجمعة الموافق ٨ مارس ١٩٧٤.

والحسد والغيرة، وأيضاً نظرة حب الأستطلاع والدخول فى أسرارالناس، وكذلك جرأة العين بلا حياء.

وفى الرهبنة يقال: لا تملأ عينيك من وجه إنسان. إن مثل هذه العيون لابد أن تصوم. لابد من صوم الحواس، بمعنى ألا تعطى هذه الحواس متعة أكثر مما يجب، وألا تتمتع بالمحرمات.

إن حفظ الحواس أو صونها معناه أن الإنسان لا يعطى الحواس ملئها، مثلما نقول فى الصوم "لا تملأ بطنك بالطعام".

ربما يقول إنسان: هل تعتبر النظرة إلى شىء معثر خطية؟ وكيف أمنع نظرى؟ أننى دائماً أضع اللوم على النظرة الثانية وليس الأولى التى ربما تكون عابرة، لم تكن تعرف ماترى ... فإذا أدرك الإنسان أن ما ينظر إليه معثر ونظر مرة ثانية، فإنه بذلك يكون قد أخطأ، لأنه نظر عن قصد ومعرفة ورغبة ..إن أكبر الأخطاء للحواس أن تبحث العين وتفتش عما يعثر لتراه.

إن حفظ الحواس وتربيتها يجب أن تدخل فيه البراءة والبساطة، ولذلك يقول السيد المسيح "إذا كانت عينك بسيطة، فجسدك كله يكون نيراً" (متى ٦: ٢٢). إن النظرة البسيطة تخلو من التعقيد. وحتى فى كل الأمور، ينبغى أن ننظر إلى كل أمر ببساطة وهدوء.

إن بعض القديسين – فى حفظ الحواس – كانوا لا يريدون لحواسهم أن تنشغل بأمور عالمية، حتى لا تعطلهم عن الإنشغال الروحى، فإن الحواس أحياناً تنظر أشياء ليست خاطئة فى ذاتها، ولكنها معطلة ... الآباء القديسون الذين عاشوا فى البرارى، كان فكرهم صافياً لا يعطله النظر العالمى.

خذوا مثلاً الكلام والسمع .. يجب على الإنسان أن يحفظ أذنيه، فلا يقع

فى الخطأ ..

وما أسهل على الإنسان أن يضيع وقته كله فى الكلام والإستماع! ..

لابد من الأهتمام بآذاننا وكيف تعيش فى صحة روحية، وكيف نصومها عن الإستماع .. كيف نخلى آذاننا من حديث الناس لنسمع الله، وكيف نغمض أعيننا عن رؤى الأشياء لنرى الله ..؟

لقد أراد السيد المسيح لعيوننا أن تكون نوافذ روحية لنا نطل بها على عمل الله، فقال "تأملوا زنابق الحقل، تأملوا طيور السماء" .. وأراد أن نأخذ تأملاً روحياً فى كل منظر نراه فنستفيد روحياً .. من الصياد الذى ألقى شباكه فى البحر، ومن التاجر الذى باع كل ما يملك ... إن السيد المسيح يريد أن ترتبط عيوننا بالروح وليس بالجسد، وكذلك آذاننا أيضاً.

إن الحواس إذا أرتبطت بالجسد، أضرت الإنسان، وإذا أرتبطت بالروح فإنها تكون مجالاً للتأمل .. إن الإنسان الروحى فى كل منظر يراه، يجد مصدراً لروحيات عميقة له. دربوا أنفسكم كيف تكون عيونكم مصدراً لروحياتكم وليس للجسد.

ومن الممكن للإنسان أن يحول جميع نظراته إلى إتجاة روحى، حتى فى النظر إلى الناس يمكن أن يتحقق ذلك. فقد جاء ثلاثة أشخاص إلى القديس الأنبا أنطونيوس .. إثنين منهم كانا يسألانه، أما الشخص الثالث فقد قال له: يكفينى مجرد نظرى إلى وجهك يا أبى ... أنه كان يمتص الروح الذى فيه، ويستشف الطهر الروحانى والنقاء والمعانى السامية التى فى وجهه. مثلما ينظر الإنسان إلى صورة قديس، فيأخذ غذاء لمشاعره الروحية من النظر ..

تماماً مثلما قال داود النبى "واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس، أن

أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى، لكى أنظر إلى جمال الرب وأتفرس فى هيكله" (مز ٢٧)... ولهذا فإن الكنيسة المقدسة تزين بالأيقونات والمناظر الروحية، لكى يشبع الناس حاسة النظر أشباعاً روحياً.

وعليك أن توجه سؤالاً إلى نفسك .. هل عيناك معك أم ضدك؟ ..

هل عيناك من مصادر الروح أم هى من مصادر الجسد والمادة؟ .. هل نظراتك تشبعك روحياً أم تشبعك جسدياً؟ إن كل شىء يمكن أن يستخدم للخير والشر، وكل شىء طاهر للطاهرين كما قال معلمنا بولس الرسول. هناك إنسان عندما ينظر، فإنه يسمو بقلبه وفكره وهو يتأمل عجائب الله فى خليقته، كما قال الكتاب "السموات تحدث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه" (مز ١٩). وعن هذه الحواس الروحية قال داود "ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب "(مز ٣٤ :٨).

إن القديس باسيليوس الكبير تكلم كثيراً عن التأمل فى الطبيعة وما بها من جمال يحدث عن إبداع الله العجيب .. وشعراء كثيرون كان لهم هذا التأمل أيضاً. إن السيد المسيح يتحدث عن هذا المنظر الجميل فيقول لتلاميذه "إن أنبياء وأبرارا كثيرين أشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا" (مت ١٣: ١٧).

إن العين المرتبطة بالمادة مغلفة بغلاف مادى يمنعها من الرؤية الحقيقية، أما العين التى تتأمل فى الروحيات وتتميز بالنظر الروحى، فكثيراً ما يكشف لها الله من فرط حبها فيه روحيات أكثر ويأتمنها على مناظر أكثر. عندما خرج إليشع النبى وتلميذه جيحزى، كانت عينى إليشع من العيون المفتوحة، أما تلميذه جيحزى فلأجل خطيئته، لم يبصر المناظر الروحية. فصلى إليشع وقال "أفتح يارب عينى الغلام ..". وحسناً فعل السيد المسيح بالنسبة لتلميذى

عمواس، عندما فتح أعينهما لكى يريا، وعن هذه النظرة الروحية يقول داود النبى "أكشف يارب عن عينى لأرى عجائب من شريعتك".

إن عيوننا قاصرة من الناحيتين المادية والروحية .. قاصرة روحياً لأنها لا ترى الروحيات، وحتى مادياً فأنها لا تبصر كما ينبغى .. إن السيد المسيح بيننا ونحن لا نبصر .. والروح القدس يعمل حولنا، وكذلك القوات السمائية تحيط بنا، والله موجود فى كل مكان ونحن لا نبصر .. إن عيوننا ضعيفة ..

علماء الأرواح يقولون إن هناك أشخاصاً لهم موهبة أسمها الجلاء البصرى، يبصرون ما لا يبصره غيرهم، وفى قصة بلعام عبارة جميلة جداً "رؤى الرجل المفتوح العينين الذى يرى رؤى القدير".

من فينا له هذه العيون المبصرة التى ترى رؤى القدير؟ .. إن عينيك دائماً مشغولتان بالمادة والعالم والجسد، وليس لهما دراية بالروح ..

كن أميناً فى القليل ويقيمك الله على الكثير .. لقد أعطاك الله القليل وهو أن تتأمل فى الأمور الروحية، فإذا نجحت فى هذا فإنه يمكن أن تتكشف لك الروحيات.

إن العين الروحية تستطيع أن ترى أشياء كثيرة، وفى السماء عندما ينقينا الله من غلاف المادة وضباب الجسد، ستكون لنا عيون تبصرما لا نبصره الآن، وأنا أتصور ملكوت السموات حيث نأخذ أجساداً روحية، فإننا نأخذ أيضاً عيوناً روحية، وهذه العيون الروحية ستكون من نوع آخر، فإنه لا توجد فى السماء مادة، ولا تكون الحواس حواس روحية جسدية، إنما نعطى حواس روحية وعيوناً وآذاناً روحية.

إن الكتاب يقول: ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن .. وهكذا فإن ما تراه

العين وما تسمعه الأذن حالياً أشياء مادية، أما فى السماء فإن العيون الروحية ترى أموراً روحية، والآذان تسمع أموراً روحية.

تداريب

أننا نرجو فى الصوم أن ندرب عيوننا وآذاننا على الروحيات، علينا فى الصوم أن نعيش حياة روحية .. كيف تفكر حواسنا روحياً ..

النظر روحى والسمع روحى والمذاقة روحانية. هل نحن نعيش حياة روحية، لنا الأذن الروحية، والعين الروحية، والمذاقة الروحية، والتلامس الروحى مع الله؟ .. أم أننا نعيش خارج الروح. كيف يمكن أن يكون الصوم فترة روحية للحواس الروحية؟ ..

ليتنا فى هذا الصوم أن نأخذ تداريب لأنفسنا ...

التدريب الأول من جهة النظر البعيد عن أخطاء البصر، تلك الأخطاء التى تتمثل فى النظرات الخاطئة الجسدية كنظرة الأقتناء، ونظرة الحسد، والغيرة، والأحتقار .. علينا أن ندرب أنفسنا كيف تكون عيوننا بريئة وصافية، وتكون لنا العين البسيطة التى تجعل الجسد كله نيراً .. هناك عيون صافية، وعيون معكرة .. وداود النبى يقول " تعكرت من الغضب عيناى" (مز ٦).

هناك أشخاص تنظر إلى عيونهم، فترى أنك تدخل فى أعماق وأعماق، وتشعر أن هذه العيون كنز من الروحيات ...هناك أشخاص تنظر إلى عيونهم، فترى فيها البراءة والطهر والبساطة والحب والنقاوة والوداعة والإتضاع.

إن الإنسان عندما يكون فى حالة بر وقداسة، يظهر البر فى عينيه، وعندما يكون فى حالة خطية تطل من عينيه أيضاً ... إن عينيك تكشفانك مثلما قيل لبطرس "لغتك تظهرك" ...

كيف يمكن أن ننقى عيوننا؟ .. ليتنا نأخذ فى الصوم تدريباً للعين البسيطة التى تجعل الجسد نيراً. إنك عندما تنظر إلى صورة السيدة العذراء، فإنك ترى الفضائل كلها تنطق من وجهها .. أننا نريد أن نسترجع ملامحنا حينما خلقنا على صورة الله ومثاله، نريد أن نسترجع نقاوة عيوننا، وأعماق عيوننا ومقدرة عيوننا على البعد الروحى والمادى أيضاً.

علينا أن نأخذ تدريباً آخراً وهو كيف نتأمل روحياً فى كل ما يمر علينا من روحيات؟ ..

علينا أن نأخذ من كل منظر معنى روحياً وأفكاراً روحية .. وعلى الإنسان أن يتدرب كيف يستطيع أن يحول الماديات إلى روحيات؟ أو كيف يستطيع أن يستخلص الروحيات الموجودة فى الماديات؟ .. إن الله لم يخلق المادة مادة بحتة ... إن الروحيين يرون فى المادة أيضاً معانى روحية يمكن أستخلاصها .. معانى لاهوتية عن حكمة الله وقدرته فى المادة .. إن الكتاب يقول " تأمل النملة أيها الكسلان ".

فى كل الأشياء يمكن أن نأخذ دروساً روحية، والشخص الروحى يستطيع أن يستخرج معانى روحية من كل شىء، حتى من الخطيئة ذاتها، وهكذا نكون قد وصلنا إلى قدسية الحواس، وليس فقط إلى صوم الحواس أو ضبط الحواس.

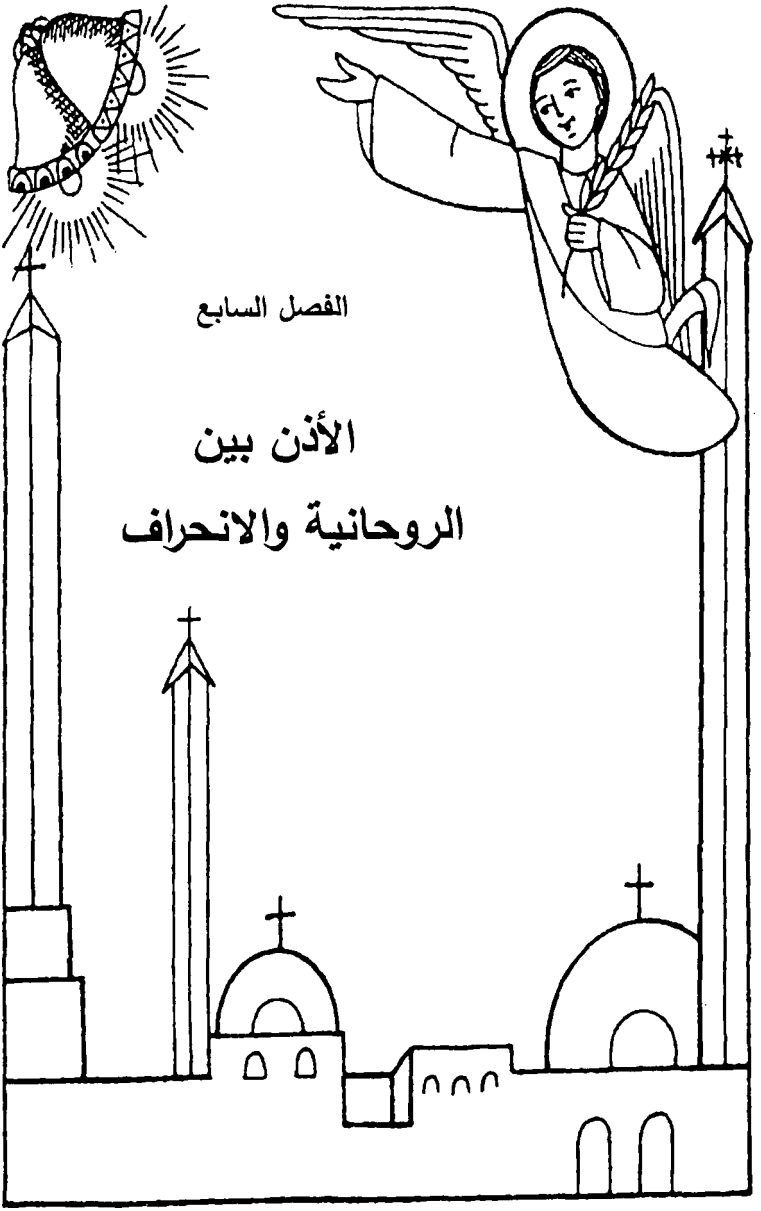

الفصل السابع

الأذن بين الروحانية والانحراف

الأذن بين الروحانية والإنحراف[٧]

كنا نتكلم فى المقال السابق عن صوم الحواس، وركزنا الحديث على العين .. وكيف يكون البصر روحانياً، وكيف يبتعد الإنسان عن أخطاء النظر، ويدرب هذه الحاسة روحانياً ...

واليوم أريد أن أحدثكم عن السمع وأخطائه، والأذن بين الروحانية والإنحراف ...

يجب على الإنسان الروحى أن يستخدم سمعه من أجل روحانيته، ومن أجل مجد الله، فيمتنع عن كل شىء يمكن أن يتعب ضميره عندما يسمعه.

إن السمع والبصر مدخلان للنفس،

وهناك أشياء يسمعها الإنسان ويندم كثيراً لأنه سمعها.

إن الكلمة التى يسمعها الإنسان تحدث تأثيراً فى نفسه، وربما لا يستطيع التخلص منه.

كلمات الشك .. يسمع الإنسان عبارة تشككه فى إيمانه، أو يسمع عبارة تشككه فى محبة الناس له، ويحاول أن يخرج الشك من قلبه فلا يستطيع، ويتمنى لو أنه لم يكن قد سمع هذه العبارة.

إن السماع متعب للإنسان، ومشكلة آدم وحواء الأولى وسبب خطيئتهما، أن حواء جلست مع الحية وسمعت منها كلاماً، وأحدث الكلام الذى سمعته

---

[٧] القيت هذه المحاضرة مساء الجمعة الموافق ١٥ مارس ١٩٧٤.

تأثيراً غريباً فى نفسها، فغيّر فكرتها نحو الأشياء، وأفقدها بساطة طبيعتها ..

قبل أن تسمع كانت تنظر للشجرة ولا تتأثر، ولكنها بعدما سمعت تغيرت نظرتها .. إن السماع الذى سمعته غيّر طبيعتها من الداخل، فقد أدخل جنيناً شريراً فى نفسها فأتلفها.

عليك أن تبتعد عن سماع كل ما يعكر حياتك الروحية ..

إبتعد عن البيئة الشريرة التى تسمع فيها كلاماً يفسدك ويفقدك بساطتك الروحية.

إبتعد عن كلمات الشهوة، فبعض الناس يتلفون من القصص التى يسمعونها، وبعضهم يتلفون بسبب دخولهم فى إرشادات لأشخاص منحرفين، وفى الإرشاد يستمعون إلى كلمات متعبة لا يستطيعون أن يتخلصوا من تأثيرها ... فليس كل إنسان يصلح للإرشاد.

من الكلام الذى يتعب الإنسان عندما يسمعه، كلام الملق والمديح. فهو يذيب مقاومة الإنسان من الداخل ويضعفه ..

إن غالبية الناس تفرح آذانهم لسماع كلمات المديح، حتى لو كانوا يشعرون أنها غير حقيقية ..

إبتعد عن سماع كلمات المديح على قدر أستطاعتك، أوعلى الأقل لا تجعل ما تسمعه يؤثر على نفسك من الداخل، عليك أن تحدث توازناً بين داخلك وما تسمعه.

فإذا سمعت واحداً يمدحك بما ليس فيك، عليك أن تقول لنفسك: كثيراً ما أخطأت، وهذا الشخص لا يعرف خبايا نفسى ... هذا هو التوازن.

لقد كانت بداية السقوط عند حواء كلمات المديح ،عندما قال الشيطان "تصيران مثل الله تعرفان الخير والشر" (تك ٣ :٦).. لقد تأثرت حواء بكلمات الملق هذه، وأعتقدت أنه من الممكن أن تصبح مثل الله.

وأيضاً هيرودس الملك، تعب من المديح وهلك .. ففى ذات يوم جلس على عرشه وتكلم وتملقه الشعب قائلاً "هذا صوت إله لا صوت إنسان"... وضرب الرب هيرودس فأكله الدود ومات، لأنه لم يعط مجداً لله، إذ كان من المفروض أن يرد ويقول .. أنا بشر وتراب، لكنه سقط بكلام المديح، وكانت أذنه سبب هلاكه .(أع ١٢: ٢٢، ٢٣).

أنت لست مداناً عن المديح الذى تسمعه، ولكنك مدان عن قبولك له، عن تلذذك به.

ربما تسمع المديح، ولكن يجب أن ترفضه من الداخل، ولا يجب أن تتلذذ به وتصدقه، وحينئذ تكون أذنك سبب تعبك.

عليكم أن ترفضوا المديح والملق من الداخل والخارج.

من الكلام الذى تخطىء الأذن فى سماعه، كلام الوشاية والإتهامات الباطلة التى توجه للناس ...

لقد أتهم يوسف الصديق ظلماً بكلام وشاية، ودخل السجن بسبب ذلك ... إن هذا من أخطاء الأذن، ولهذا تقول قوانين الكنيسة "لا يكون الأسقف سماعاً".

إن الشخص الذى يسمع كثيراً بدون تفكير يضر نفسه. وأكثر الأشياء ضرراً، الأذن التى لا عقل لها. من المفروض على الإنسان أن يصعد كل

كلمة إلى عقله قبل أن ينزلها إلى قلبه ..

لتكن لك الأذن الفاحصة الواعية التى تدقق وتحقق وتفحص قبل أن تقبل،

والوضع السليم أن لا تقبل الأذن كلام الوشاية والإتهامات الباطلة، فإذا فتح موضوع أمامك من هذا القبيل، حاول أن تغلقه حتى لا يسترسل فيه المتكلم فتتعب، أما إذا لم تستطع وسمعت على الرغم منك، فيجب أن تحقق وتدقق ولا تقبل إلا الصواب.

إن هناك كلاماً كاذباً، وهناك كلاماً فيه مبالغة يصل إلى أذنيك، وكلاماً فيه نصف الحقيقة وليس الحقيقة كلها،

وربما كان الشخص الذى يكلمك صادقاً، ولكن مصادره غير سليمة، وربما دخلت إضافات إلى الكلام الذى وصلك، وكثيرون يضيفون فهمهم الخاص إلى ما سمعوه! إبتعد عن كلام الوشاية وإتهامات الناس، ولا تسمع نقائص الناس وعيوبهم.

ويوجه خاص لا تسمع مذمة فى إنسان أنت لا تحبه، أو مذمة فى إنسان ليس قلبك صافياً من ناحيته.

هناك من يفرحون بسماع المذمة فى أعدائهم، وهذا خطأ من أخطاء الأذان ... ومن الطبيعى ألا تكره أحداً، فإذا وجدت فى حالة كراهية، فلا تسمع المذمة، لئلا تزيد الهوة ويتعذر السلام.

من أخطاء الأذان أيضاً سماع ما لا حق لك فى سماعه مثل أسرار الناس ..

فإذا سمعت أسرار الناس، فإن هذا يسمى بزنا الأذان ... ومن هذا النوع

التلصص والتصنت لسماع أخبار الناس .. فإذا كلمك شخص عن أسرار الناس، أرفضها.

من الأشياء التى ينبغى على الأذان أن تحترس وتعاملها معاملة دقيقة، الموسيقى والأغانى ...

إن الموسيقى لها تأثير كبيرعلى النفس .. كل إنسان يتأثر بالموسيقى، روحية كانت أم عالمية .. جيدة أم رديئة.

عليك أن تدقق فيما تسمعه من الموسيقى .. وربما يقول إنسان أننى أستمع إلى مجرد موسيقى خالية من الكلمات.

لهذا أقول إن الموسيقى ربما تحمل تأثيراً سيئاً حتى لو خلت من الكلمات ... هناك موسيقى تحمل طابعاً شهوانياً متعباً للإنسان الذى يسمعها بتأثيرها عليه ..

وفى نفس الوقت هناك موسيقى تسبح بالإنسان فى جو روحانى يتسم بالسمو .. وهناك موسيقى كنسية روحية.

إن الموسيقى شديدة التأثير، وتلعب بالمشاعر، وما تسمعه يؤثرعلى قلبك وحواسك ومشاعرك. نصيحتى إنتقاء الموسيقى التى تسمعونها ..

إنتقى الموسيقى الصالحة التى تنفع قلبك، وإبتعد عن التى تضرك.

وأيضاً الحكايات ..

إن الأذن تحب سماع الحكايات، ويندر أن تجد إنساناً لا يحب القصص والحكايات، وهى لها تأثيرها على الإنسان.

إبتعد عن القصص التى تضرك روحياً، وخذ التى تنفعك .. إن السماعيات لها تأثيرها الكبير فى جميع النواحى، فالسماع أكثر تأثيراً من القراءة.

وأيضاً الفكاهات، ولها تأثيرها فى النفس..

عليك أن تحترس من الفكاهات ذات المظهر الشهوانى .. إن الفكاهة تستوعب القلب من الداخل، فإذا كان صديق يشبعك حكايات وفكاهات من نوع ضار، فأحترس منها.

من مشاكل الأذن أيضاً، الثرثرة ..

ربما لا تسمع أذنك شيئاً ضاراً، ولكن الثرثرة تتعب ولا تفيد. حاولوا لآذانكم سماع ما يفيدها روحياً، وما يقدمك فى طريق الله. إن أردتم فائدة لآذانكم، أختلطوا بالبيئة الصالحة، وبمن هم أعمق منكم روحاً، وأعمق منكم صلة بالله، حتى تكون الكلمات التى تسمعونها، كلمات لبنيانكم الروحى،

كما يقول بستان الرهبان "إن سرت مع شخص صالح من القلاية للكنيسة، يقدمك عشر سنوات، وإن سرت مع شخص منحرف، ربما يؤخرك خمسين سنة!".

إن الكلام الروحى غذاء للقلوب والأرواح والعقول ..

إبتعد عما يضرك من كلمات، وربما كانت كلمة واحدة تسمعها تؤثر فيك شهوراً. ومن العجيب أن الكلمات الضارة تترك آثاراً عميقة ولا تنسى. أملأوا آذانكم بما يفيد، وأختلطوا بالأشخاص الروحيين العميقين فى روحانياتهم ..

لا تجلسوا فى أماكن الفساد والضياع، ومواطن الإنحلال إبتعدوا عنها ..

والكتاب يقول "وفى طريق الخطاة لا تقف، وفى مجلس المستهزئين لا تجلس" (مز ١).

أحترس من الأذن الضعيفة التى تقبل كل شيء، كما يقول الشاعر:

قد صادفوا أذناً صغواء لينة .:. فأسمعوها الذى لم يسمعه أحد.

أحترس أن يكون لك هذه الأذن.

ليكن لك الأذن الحكيمة المدققة.

الفصل الثامن

ماذا تركت من أجل الله

ماذا تركت من أجل الله؟[٨]

الإنسان فى الصوم يترك من أجل الله لذة الجسد، لذة الطعام، لذة الأكل والشرب، شهوة البطن. ويحمل هذا الأمر معنى روحياً وهو أن الإنسان لابد أن يترك شيئاً من أجل الله .. وهنا نسأل :

ماذا تركت من أجل الله؟

أول وصية أعطاها الله للإنسان كانت هى الصوم. أمره أن يترك شجرة معينة تحمل ثمرة معينة من بين جميع أشجار الجنة وثمارها. **المهم أن الله أمر آدم وحواء أن يتركا شيئاً من أجله، حتى لو كان مجرد ثمرة.**

السيد المسيح من أجلنا ترك سماءه وبهاء مجده، وأخلى ذاته، وأخذ شكل العبد. وفى صلبه ترك من أجلنا الراحة ودخل فى الألم، وفى موته ترك الحياة الجسدية. وفى صومه ترك الناس كلهم وأعتكف فى الجبل، وترك الطعام وصام.

علينا إذن أن نهتم بفضيلة الترك هذه، أو فضيلة الزهد ونترك شيئاً من أجل الله.

يحارب الإنسان بالجمع والتكويم، ويحارب بالرغبات والشهوات، ويحارب بالقنية وحب الأمتلاك. يحارب بالذات: كيف يكبر؟ وكيف يشبع؟ وكيف يأخذ؟ وكيف يمتلىء؟ وفى كل ذلك أعطى الله الإنسان وصاياه ليعلمه الترك، حتى لا يكون محباً لذاته، أو محباً لمقتنياته، أو محباً لما يملك، أو محباً

---

[٨] القيت هذه المحاضرة مساء الجمعة الموافق ٧ مارس ١٩٧٥.

للكرامة والعظمة والمجد الشخصى، أو لأى شىء فى يده.

من أجل هذا يحتاج الإنسان أن يتدرب كيف يترك شيئاً لأجل الله تمهيداً لأن يترك الكل، ويصبح الله بالنسبة إليه هو الكل فى الكل.

من الوصايا التى أعطانا الله إياها لكى نتدرب على الترك، وصية العشور. قال لنا سأعطيكم شيئاً على شرط أن تتركوا منه عُشره، فلا تتمسكوا بالكل. إن الله الذى فى يده كل الخيرات والعطايا، والذى يستطيع أن يخلق ما يشاء من الخيرات والغنى والهبات، ليس هو محتاجاً إلى عشورنا.

لكنه أعطانا وصية العشور، لكى نتعود أن نترك شيئاً: نتعود أن نعطى، وليس فقط أن نأخذ. نعطى مالاً، ونعطى حباً. نبذل، ولا نهتم بالجمع والتكويم.

ونفس الوصية يمكن أن تنطبق أيضاً على البكور، وعلى النذور، والنوافل، وعلى كل القرابين التى يقدمها الإنسان لله، وكل الصدقات والعطايا التى يقدمها لأخوته فى البشرية. إنها جميعاً تحمل معنى فضيلة الترك.

وتزداد هذه الفضيلة عمقاً، كلما ترك الإنسان من أعوازه. إن أعطيت من كمالياتك، من غناك وسعتك، من الكثير الذى لك، لا تحس أنك قد تركت شيئاً ذا قيمة. ولكنك عندما تعطى وأنت محتاج وأنت معوز، عندئذ تكون من أجل المحبة قد تركت شيئاً له قيمة عندك. مثلما تركت أرملة صرفة صيدا، فى فترة المجاعة، كل ما عندها من دقيق وزيت لإيليا النبى. ومثل الأرملة التى تركت الفلسين وهما كل ما تملك.

ويظهر عمق هذه الوصية أيضاً عندما تترك شيئاً لأجل راحة غيرك، وتتركه فى حب وبشاشة وفى رضى .. لأجل هذا يقول الكتاب "المعطى

المسرور يحبه الرب".

إذن فضيلة الترك هذه تبدو فى علوها وعمقها حينما تكون بفرح، ليست عن إضطرار أو إرغام، وليست بضيق قلب أو تذمر، وإلا تكون مجرد ترك خارجى، وليست صادرة عن القلب من الداخل ...

لأنه يجب أن يشترك القلب مع اليد فى فضيلة الترك. تاريخ الكنيسة يعطينا صوراً جميلة لقديسين تركوا أثمن ما عندهم، أو كل ما عندهم لأجل الله. مثل القديس سرابيون الكبير الذى ترك ثوبه، ثم ترك إنجيله، حباً فى الفقراء، ورجع إلى قلايته عرياناً !! وهذا العمق فى الترك يتفق مع وصية الرب القائلة "إن أردت أن تكون كاملاً، أذهب بع كل مالك، وأعطه للفقراء، وتعالى أتبعنى". **إذا دخل أخ إلى قلايتك، وأعجب بشىء فيها، لا تدعه يمضى إلا وذلك الشىء معه.**

معنى ذلك أننا لا نتمسك بشىء إلا بالحب فقط، وفى سبيله نترك كل شىء. ومعناها أن قلوبنا لا تتعلق بشىء مما فى العالم، ولا ندع شيئاً من مقتنياتنا يمنعنا من تنفيذ الوصية أو يمنعنا من حب أخوتنا وخدمتهم.

إن كان عندك شىء، أتركه من أجل الرب. وإن لم يكن عندك، فكن مستعداً بقلبك ان تترك. وما لم تستطع أن تنفذه عملياً، نفذه قلبياً. ولذلك نحن عندما نصلى فى أوشية القرابين، لا نطلب فقط ان يعوض الرب الذين أعطوا، أصحاب القليل وأصحاب الكثير، بل نقول له أيضاً "والذين يريدون أن يقدموا لك وليس لهم". هؤلاء أيضاً نطلب لهم الأجر السماوى.

بولس الرسول، فى فضيلة الترك، قال كلمة جميلة هى: **"خسرت كل الأشياء، وأنا أحسبها نفاية، لكى أربح المسيح" (فى ٣: ٨).** ترك كل

شيء، ولم يشعر أنه ترك شيئاً. لم يحس أنه ترك شيئاً ذا أهمية أو ذا قيمة، بل حسب الكل كنفاية (زبالة)، لكى يربح المسيح. وما فعله بولس الرسول، فعله باقى الرسل. وعبر عنهم فى ذلك بطرس الرسول حينما قال للرب عبارته الخالدة " قد تركنا كل شيء وتبعناك" (مت ١٩: ٢٧).

فضيلة الترك هذه تتضمنها وصية أخرى هى حفظ السبت. الله أعطانا أسبوع حياة، على شرط أن نترك منه يوماً يكون للرب. كان السبت قديماً، وصار الأحد فى العهد الجديد. هذا اليوم لا نعمل فيه أى عمل لأجل حياتنا اليومية العادية، أو حياتنا المادية، بل هو يوم للرب.

هناك أشخاص لم يتركوا فقط لأجل الرب يوماً واحداً فى الأسبوع، إنما تركوا العمر كله. فصارت حياتهم كلها سبتاً للرب. هؤلاء هم الذين كرسوا حياتهم كلها لله، أصبحت كل دقيقة من دقائق عمرهم ملكاً للرب. بعضهم صاروا كهنة، وبعضهم صاروا رهباناً أو راهبات، وبعضهم صاروا خداماً للكلمة، وبعضهم عملوا فى خدمة الكنيسة وفى خدمة الملكوت بأية صورة من الصور قائلين "إن عشنا فللرب نعيش".

إن الله كما طلب من الناس أن يتركوا شيئاً من أموالهم، وشيئاً من أوقاتهم، طلب منهم أن يتركوا من أجله البنين. **يظهر هذا الترك واضحاً فى الوصية الخاصة بالبكور** ... قال الرب " قدس لى كل بكر فاتح رحم" (خر ١٣: ١). فقبل الكهنوت الهارونى كان كل الأبكار ملكاً للرب ... كانوا نصيب الرب.

بل إن وصية البكور شملت أيضاً البهائم والأغنام، وشملت الثمار ومحاصيل الأرض، وأصبح كل إنسان يدرك أنه لا يملك كل ما فى يده، وإنما يترك منه شيئاً للرب، يترك البكور ... يترك أول كل حزمة يحصدها

من حقله ...

وظهرت وصية البكور فى عمقها عندما كانت تتعلق بالإبن الوحيد. أنظر إلى قول الرب لأبينا إبراهيم "خذ إبنك، وحيدك، الذى تحبه نفسك، إسحق، وقدمه لى محرقة على الجبل الذى أريك إياه" (تك ٢٢: ٢). من يستطيع أن يفعل هذا؟! ليس فقط أن يترك إبنه لله، وإنما يتركه وسط النيران على المذبح، ويقدمه بنفسه، ولكن هنا يظهر عمق الترك.

وبنفس الوضع، بدرجة أخف، قدمت حنة أبنها صموئيل بكرها ووحيدها وثمرة دموعها، فصار خادماً للرب. ونفس الوضع حدث مع السيدة العذراء، عندما صعد على الصليب أبنها وبكرها ووحيدها ...

فهل أنت أيضاً مستعد أن تقدم أحد أبنائك للرب، لا ليقدم محرقة على المذبح، ولا لكى يصعد على الصليب، وإنما لكى يكون خادماً للرب، مكرساً لخدمته أو لعبادته ...! ليتك تستطيع ...

محبة الترك تظهر جميلة فى قصة أرونة اليبوسى: جاء داود النبى يطلب منه أن يشترى منه بيدره لكى يصير هيكلاً للرب. ففرح أرونه، ولم يكتف بأن يترك هذا البيدر للرب، بل أراد أن يعطيه للرب هبة، ليس فقط البيدر، وإنما أيضاً "البقر للمحرقة، والنوارج وأدوات البقر للوقود" (٢صم ٢٤) .. له أعطى الكل، وبفرح.

المهم أن تعبر عن محبتك لله بأن تترك شيئاً لأجله. وأن تعبر عن عدم محبتك للعالم، وعن زهدك فيه، بأن تترك منه شيئاً. وبقدر ما تترك، هكذا يكون زهدك، وهكذا يكون حبك ... هذا العالم الذى تتركه الآن بإرادتك، قبل أن يأتى الوقت الذى تتركه فيه بغير إرادتك.

الذى تتركه الآن بإرادتك، يحسب لك براً. ولكن العالم كله عندما تتركه بغير إرادتك، لا يحسب لك شيئاً ... خيراً لك إذن أن تتركه الآن، وبما تتركه تكنز لك كنوزاً فى السماء. بدلاً من أن تتمسك بهذه الكنوز ههنا، ثم تتركها على الرغم منك دون مكافأة أو تعويض هناك ...

بهذه النظرية تصرف القديس العظيم الأنبا أنطونيوس، فكان حكيماً فى عمله، وفى نظرته البعيدة، إلى الأبدية. بنفس الحكمة تصرف موسى النبى، حينما ترك قصر فرعون. **"حاسباً عار المسيح غنى أفضل من كل كنوز فرعون"** (عب ١١: ٢٦). ترك الغنى، والألقاب، والسلطة، والإمارة، والقيادة ... كل ذلك من أجل الرب ... لذلك صار "إلهاً" لفرعون ... وبنفس الإسلوب ترك مارجرجس منصبه العسكرى، وكل الإغراءات التى عرضت عليه ... وهكذا فعل كل الشهداء.

جميع الشهداء برهنوا على محبتهم لله، بأنهم تركوا كل شىء لأجله، حتى حياتهم نفسها ...

وأنت، ما الذى يطلبه منك الرب فى صومك؟ هل مجرد بضعة أنواع من الطعام؟!

ما أتفه هذا الطعام إذا قورن بما تركه القديسون لأجل الرب. أنظر ما الذى قاله الرب لأبينا إبراهيم فى دعوته "أترك أرضك وعشيرتك وبيت أبيك، وأذهب إلى الأرض التى أريك إياها" (تك ١٢).

ونفس الكلام يقوله المرتل فى المزمور للنفس البشرية: **"أسمعى يا ابنتى وأنظرى، وأميلى سمعك، وإنسى شعبك وبيت أبيك. فإن الرب قد أشتهى**

حسنك وله تسجدين".

رفقة القديسة من أجل إسحق تركت أهلها وبلادها، وذهبت وراءه إلى أرض بعيدة. أرسانيوس معلم أولاد الملوك، ترك منصبه العظيم وترهب. مكسيموس ودوماديوس الأميران تركا الملك وكل المناصب، وذهبا إلى البرية للعبادة.

الرهبان تركوا العالم كله محبة لله، والشهداء تركوا الحياة محبة لله. وكل الأبرار تركوا ملاذ العالم وشهواته.

وأيضاً المبشرون تركوا بلادهم وأهلهم، وذهبوا إلى مجاهل أفريقيا، وإلى بلاد البربر، وإلى بلاد تأكل لحوم البشر، كل ذلك لأجل ملكوت الله ورسالة الإنجيل ... وأنت، ماذا ستتركه لأجل الرب؟

الفصل التاسع

التخزين الروحي

التـــخزين الروحـــى[٩]

يعتبره كثير من الآباء، الصوم الكبير، الذى هو أقدس أصوام السنة، فترة تخزين روحى.

هذا الصوم بطقوسه وألحانه المميزة، وقراءاته التى تدعو إلى التوبة، وبدرجة الانقطاع عن الطعام فيه، وقداساته اليومية فى كثير من المناطق، وبذكرياته الخاصة بالسيد المسيح له المجد .. هذا الصوم يترك فى القلب مشاعر عميقة ترتفع بالروح فى علاقتها مع الله.

وبهذا يمكن للقلب أن يخزن فيه قدراً كبيراً من الروحيات تنفعه فيما بعد، وبخاصة فى أيام الخمسين المقدسة حيث لا صوم ولا مطانيات.

بل إن الإنسان إذا صام صوماً روحياً خلال الصوم الكبير، فإن ما يختزنه فى قلبه وفى فكره من مشاعر وأحاسيس ومن أفكار روحية، يستمر هذا معه على مدى فترات طويلة، وتصبح روحيات الصوم الكبير هى خزين العام كله .. لا يزول أثره بسرعة، بل يتجدد يوماً بعد يوم ..

فاحرص كل الحرص على روحيات هذه الفترة. وانظر ماذا تخزنه خلالها من مشاعر مقدسة ...

وأية تداريب روحية ستعطيها لنفسك حتى تقومها، وتدفعها إلى قدام فى حياتها مع الله ..

أما إن خرجت من الصوم الكبير بلا شئ فاعلم أن الفتور سوف يصاحبك

---

[٩] القيت هذه المحاضرة مساء الأربعاء الموافق ١٢ مارس ١٩٩٧.

فى حياتك، وسوف تكون أيام الخمسين بعد القيامة أشد فتوراً وأعمق!

فما هو إذن التخزين الروحى؟ وما عناصره؟ وماذا ورد فى الكتاب المقدس عنه وعن أمثلته؟

من أمثلة التخزين ما فعله يوسف الصديق كرمز:

إنه استطاع فى فترة الشبع والخير أن يخزن من الطعام ما صار يكفى طوال سنوات الجفاف، طوال سبع سنوات عجاف، لم يجع خلالها أحد من الناس، فى مصر وفى كل البلاد المحيطة بها "خزن يوسف قمحاً كرمل البحر كثيراً جداً، حتى ترك العدد، إذ لم يكن له عدد" (تك٤١: ٤٩). وكانت هذه حكمة منه امتدحها فرعون (تك٤١: ٣٨، ٣٩).

مثال آخر للتخزين هو مثل الخمس العذارى الحكيمات

اللاتى أخذن معهن زيتاً فى آنيتهن مع مصابيحهن (مت٢٥: ٤). لذلك نفعهن هذا الزيت المخزون فى آنيتهن، حينما أقبل العريس فى نصف الليل. ولم تنطفئ مصابيحهن كما حدث للخمس العذارى الجاهلات اللاتى لم يأخذن معهن زيتاً.. فهؤلاء اللآئى لم يختزن زيتاً، سماهن الكتاب الجاهلات ...

من جهة الخزين الروحى نضرب مثل الزارع الذى يخزن بذاراً فى الأرض.

فتنمو هذا البذار، وتنتج محصولاً وفيراً. تخرج من باطن الأرض، وتصبح زرعاً وقوتاً، وتمتلئ بها أهراؤه. بعكس زميله الكسلان الذى لم يخزن فى أرضه بذاراً. وينبطق عليه قول الشاعر الحكيم:

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً .:. ندمت على التفريط من زمن البذرِ

فما هو التخزين الروحى الذى تخزنه؟ وما أنواعه وكيف يكون؟

التخزين الروحى هو كل ماتخزنه فى فكرك من معلومات، وما تخزنه فى قلبك من مشاعر. بحيث يخرج هذا كله، ويؤثر عليه من الناحية الإيجابية أو السلبية.

وهناك آية واضحة عن التخزين فى القلب، وهى قول الرب: "الإنسان الصالح من الكنز الصالح فى القلب، يخرج الصالحات، والإنسان الشرير من الكنز القلب الشرير يخرج الشرور" (مت١٢: ٣٥).

مسكين الإنسان الذى لا توجد فى قلبه مشاعر روحية مخزونة فى داخله، ومعها ثمار الروح من محبة وفرح وسلام ووداعة ولطف وصلاح وإيمان.. (غل٥: ٢٢، ٢٣).

ومسكين أكثر وأكثر الذى خزّن فى قلبه شهوات رديئة ومحبة للعالم الحاضر (١يو٢: ١٥، ١٦).

المفروض أنك تخزن روحيات فى فكرك، تكون مصدراً لمشاعر القلب.

تخزنها عن طريق القراءات الروحية سواء فى الكتاب المقدس أو الكتب الروحية، أو سير القديسين. مع ما تخزنه مما تسمعه من الوعاظ، وما يكون لك من التأملات، ومن المزامير والألحان والترانيم. كما قال الرسول "بمزامير وتسابيح وأغانى روحية، مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب" (أف٥: ١٩) (كو٣: ١٦).

وكل ما تقرأه وتحفظه، تدخله إلى قلبك، وتخلطه بمشاعرك، ويتحول إلى رصيد روحى لك ترد به على كل خطية تحاربك.

إن حوربت بالغضب مثلا تخرج من خزينك الروحى الآية التى تقول: "ليكن كل إنسان مسرعاً إلى الإستماع، مبتطئاً فى التكلم، مبطئاً فى الغضب. لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله" (يع١: ١٩، ٢٠).

وإن حوربت بنظرة شهوانية تخرج من خزينك الروحى الآتة التى تقول: "عهداً قطعت لعينى، فكيف أتطلع إلى عذراء؟!" (أى٣١: ١). أو قول الرب "كل من ينظر إلى إمرأة ليشتهيها، فقد زنى بها فى قلبه" (مت٥: ٢٨).

كذلك إن حوربت بشئ من أخطاء اللسان، يخرج من الخزين الذى فى فكرك قول الرب "كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس، سوف يعطون عنها حساباً فى يوم الدين" (مت١٢: ٣٦) وأيضاً لأنه بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان" (مت١٢: ٣٧).

وإن أكثرت الكلام بلا ضرورة، تخرج من خزينك الروحى الآية التى تقول "كثرة الكلام لا تخلو من معصية" (أم١٠: ١٩).

وهكذا يخرج من ذهنك ما خزنته فيه من آيات، لكى تنقذك من الوقوع فى الخطأ. وكما قال المرتل فى المزمور: "خبأت كلامك فى قلبى لكى لا أخطئ إليك" (مز١١٩: ١١).

أى أن كلام الرب لم يقتصر على القراءة فى الكتب، أو مجرد السماع فى الكنيسة أو فى الإجتماعات الروحية، وإنما دخل إلى القلب وتخزن فيه، فلم يبرح منه ولم يفارقه.

وليس كلام الله فقط، وإنما أيضاً قصص القديسين، وكل تأمل وكل ما هو نافع للعلاقة مع الله.

يذكرنى هذا بالمذكرة الروحية التى كانت لنا فى شبابنا. أتذكر حينما بدأت علاقة روحية جيدة مع الله فى أيام شبابى الأول، كانت لى نوتة روحية أكتب فيها كل ما يترك أثراً عميقاً فى نفسى: سواء فى قراءة الكتاب المقدس أو أى كتاب روحى. أكتب فى مذكرتى الروحية. وكذلك كل كلمة منفعة أسمعها سواء قيلت لى أو لغيرى. وأيضاً عنوان أو ملخص القصص التى أسمعها أو تصادفنى فى قراءاتى. أو أى حادث ترك فى نفسى أثراً ...

وبين الحين والحين أعيد مطالعة هذه المذكرة أو بعضها، فتعيد إلى قلبى نفس التأثر الأول.

ليت كل منكم تكون له نفس النوتة الروحية أو المذكرة الروحية، حتى لا تضيع التأثيرات الروحية التى عشت فيها وقتاً ما. فلا يخطفها الطير، ولا يخنقها الشوك. بل تبقى حية فى قلبك وفى فكرك، وتصبح جزءاً من خزينك الروحى ...

تذكرنى المذكرة الروحية، بما كان مكتوباً بسفر تذكار أخبار الأيام، فى زمن أحشويرش الملك ... كان هامان قد دبر مؤامرة لقتل مردخاى، وجهز صليباً عالياً ليصلب عليه. كما فكر فى إبادة شعبه كله. ثم تدخل الله فى هذا الموضوع. وهنا يقول الكتاب "فى تلك الليلة طار نوم الملك، فأمر بأن يؤتى بسفر تذكار أخبار الأيام. فقرئت أمام الملك (إس٦: ١-١٠) فوجد فيه خبراً فحواه أن مردخاى قد أنقذ الملك من مؤامرة كانت ضده. فسأل غلمانه "أية كرامة وعظمة عملت لمردخاى." فقالوا لا شئ. فبدأ الملك يفكر ويسأل كيف يمكنه أن يكرم مردخاى، ونفذ ذلك.

وهكذا كانت كتابة الأحداث وتذكرها سبباً فى إنقاذ مردخاى وشعبه.

ومع هذا إن خزن الإنسان فى عقله وفى قلبه، سوف لا يحتاج إلى مذكرات.

ولذلك يُقال عن كتاب الله "يلهج فيه الإنسان نهاراً وليلاً" (مز ١). وقيل فى ذلك ليشوع بن نون "بل تلهج فيه نهاراً وليلاً، لكى تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه" (يش١: ٨). إنه خزين فى الفكر، يعقبه خزين فى الحياة العملية والذكريات.

هذا الخزين يبقى فى ما يسمى بالعقل الباطن.

الذى تختزن فيه القراءات والأفكار والصور والأحاسيس، حتى من زمن طويل، ثم تعود وتظهر كما من فيلم أو من جهاز تسجيل، أو من كمبيوتر، كلها باقية لم تضع ..

وما أسهل ما يظهر المختزن فى العقل الباطن على هيئة أفكار أو ظنون أو أحلام أو مشاعر. وتسأل نفسك من أين؟ والجواب هو من الخزين القديم .. حتى من أيام الطفولة.

ما أخطر وما أعمق ما يخزنه العقل فى فترة الطفولة!

وكثير من المبادئ والقيم التى يعيش بها الإنسان تكون مخزونة من أيام الطفولة، سواء عن قصد أو من غير قصد. من الناحية الأخرى كثير من العقد النفسية التى يقاس منها الإنسان حينما يتقدم به العمر، تكون من الخزين الذى كان فى قلبه ومشاعره ومعلوماته منذ الطفولة.

والطفل قد لا يقصد أن يخزن، وإنما الذين حوله يخزنون فيه. فاحترسوا مما تخزنونه فى نفسيات أطفالكم، وفى عقولهم الباطنة.

وقد يلتقط الطفل أشياء دون أن يقصد. وقد تتطبع فى ذهنه صورة لا يستطيع أن يمحوها، أو كلمة لا يستطيع أن ينساها، وتبقى معه. وكثيراً ما يقول حينما يكبر "قال لى أبى وأنا صغير.." أو "حكت لى جدتى وأنا صغير.."

هل سمعتم عن الجمل مثلاً، الذى يختزن فى داخله طعاماً، ثم يعود فيجتره..؟ هكذا عقل الإنسان ...

وهكذا قلبه، وهكذا نفسيته .. تجتر باستمرار من الماضى القريب أو البعيد... ما فى داخلنا لا يتلاشى بسرعة. قد نجتره بإرادتنا، حينما يحلو لنا أن نتذكر. وقد يظهر أحياناً فى ذاكرتنا فى مناسبة ما.

هل تتذكر الدواء المكتوب عليه: رجّ الزجاجة قبل الإستعمال؟ تجد سائلاً رائقاً من فوق. وراسب فى أسفل الزجاجة. فإذا ما رججتها يصعد هذا الراسب، ويختلط بالسائل ...

وهكذا نقول: كم فى نفوسنا من رواسب؟

الإنسان الروحى يحرص أن ما ترسب فى داخله، يكون لصالحه روحياً. ويحرص على أن كل ما يجتره يكون لبنيان نفسه ومنفعته. ويهمه باستمرار أن ينقى ذاكرته، وينقى مشاعره، ولا يبقى فى داخله، إلا ما قال عنه الرب "الكنز الصالح الذى فى القلب" (مت١٢). إنه الخزين الروحى.

هذا الخزين الروحى يصلح فى فترات الفتور، وفى وقت الحروب الروحية.

يعيد إلى القلب الحرارة الروحية إذا ما فتر.. ويبث فيه القوة والحماس

إذا ما ضعف. ويعيد إليه محبته لله.

وحسن أن يخزن الإنسان فى قلبه مشاعر معينة، كلما تتحرك فى قلبه يثبتها بالممارسة. وهكذا يكون قلبه مخزناً للفضائل، تظهر فى علاقته مع الله ومع الناس...

ياليتنا فى كل مناسبة روحية نخزن شيئاً جديداً.

فى كل قداس يمر بنا، نخزن تأثرات روحية، وبخاصة فى كل تناول من الأسرار المقدسة. ولا نسمح لأنفسنا أن نفقد هذه المشاعر الروحية، بأن نخرج من الكنيسة بعد القداس والتناول "فنبذر مالنا بعيش مسرف" (لو١٥: ١٣) عن طريق الخلطة والكلام واللهو، فنفقد ما قد خزناه. وكأننا أم قد أجهضت جنينها.

إن القديس الأنبا أنطونيوس سمع عبارة أثناء القداس، فخزنها فى قلبه ومشاعره. سمع قول الرب للشاب الغنى "إن أردت أن تكون كاملاً، اذهب بع كل مالك واعطه للفقراء، فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى" (مت١٩: ٢١).

ومع أن الحاضرين فى الكنيسة سمعوا معه هذا العبارة، ولكنهم لم يفعلوا مثله. أما هو فخبأ العبارة فى قلبه، ولم ينسها، بل مزجها بمشاعره. وأخرجها من الخزين القلبى إلى التنفيذ العملى، فإذا بها روح وحياة، كما قال الرب (يو٦: ٦٣).

فى فترة الصوم مثلاً تتدرب على ضبط النفس.

فهل تختزن هذه الفضيلة فى قلبك وفى إرادتك؟

وهل يصبح ضبط النفس جزءاً من طبعك ومن مبادئك؟

أم أنك فى يوم العيد حينما تفطر، تفتح خزانتك القلبية، وتتركها بلا حارس!!وإذا بك تفقد كل ما قد تم خزنته من روحيات أثناء الصوم ... تترك هذه الفضيلة أيضاً. للطير يخطفها وللشوك يخنقها (مت١٣: ٤، ٧).

هناك أمور أخرى يمكن أن تختزنها من (خبرات الحياة).

كل خبرة تأخذها فى الحياة، حاول أن تثبت دروسها فى نفسك، لكى تستفيد منها. بل إذا خزنتها فى فكرك، تستطيع أيضاً أن تفيد بها غيرك ..

وكلما تمر بك الخبرات وتزداد بتقدمك فى العمر، تزداد حكمتك فتوزع منها على من يسألونك المشورة، وكما قال أليهو بن برخئيل البوزى لأيوب وأصحابه الثلاثة "قلت الأيام تتكلم. وكثرة السنين تظهر حكمة" (أى٣٢: ٧).

وتستطيع خبرات الحياة ودروسها أن تحميك من تكرار السقوط.

كما قال أحد الآباء الروحيين "لا أتذكر أن الشياطين أطغونى فى خطية واحدة مرتين". يعنى أنه من كل سقطة أخذ درساً إكتنزه فى نفسه، حتى يتلافى أسباب السقوط فلا يقع فيها مرة أخرى. كما قال الرب لراعى كنيسة أفسس "أذكر من أين سقطت وتب" (رؤ٢: ٥).

وعبارة (اذكر) هنا، تعنى أن تختزن فى ذاكرتك أسباب السقوط، فتحترس منها ...

وإن لم تكن لك خبرات، استفد من خبرات غيرك. أو استفد من الأحداث ومن التاريخ ...

فالتاريخ معلم كبير بكل ما يحويه من دروس. كما قال الشاعر:

ومن وعى التاريخ فى صدره .:. أضاف اعماراً إلى عمره

وما فى التاريخ من أحداث يفيد الأفراد والجماعات والدول، إن كان كل هؤلاء يخزنون فى أذهانهم عبرات التاريخ المخزونة فى أحداثه.

ليتك أيضاً تخزن فى ذهنك وعودك وتعهداتك، لله وللناس.

وتخزن أيضاً نذورك لكى تفى بها ولا تنساها.

كم من مرة وعدنا الله، ودخلنا فى عهود معه، ثم نسينا كل ما عاهدنا عليه وبخاصة فى أوقات ضيقاتنا. ضع أمامك هذا البيت من الشعر:

كم وعدت الله وعداً حانثا .:. ليتنى من خوف ضعفى لم أعد

وينضم إلى الوعود والعهود، ما تقدمه من نذور وقد ننساها فلا نفى بها. وما أجمل قول الكتاب "خير لك أن لا تنذر، من أن تنذر ولا تفى" (جا٥: ٥).

نقطة أخرى يجب أن تخزنها فى فكرك وفى قلبك وهى أحسانات الله إليك.

وعن هذا الأمر يقول المرتل فى المزمور "باركى يا نفسى الرب، وكل ما فى باطنى فليبارك إسمه القدوس. باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته" (مز١٠٣: ١، ٢).

العجيب أننا لا نخزن فى قلبنا سوى المتاعب والضيقات، فنعاتب الله بسببها، بل نشكو أحياناً ونتذمر.

ولكن إحسانات الله إلينا، كثيراً ما ننساها .. وننسى استجابة الله لكثير من

صلواتنا. وننسى قوله "ادعنى فى وقت الضيق، أنقذك فتمجدنى" (مز ٥٠: ١٥).

ما أجمل أن نخزن فى ذاكرتنا احسانات الله إلينا، فهذا يقودنا إلى حياة الشكر والعرفان بجميل الله علينا فنرتبط بمحبته أكثر وأكثر.

عشرة من البرص شفاهم الله، فلم يرجع منهم ليشكره سوى إنسان غريب الجنس (لو ١٧: ١٨). والله ليس محتاجاً إلى شكرنا. ولكننا بهذا ننمى المحبة التى تربطنا به.

فى إحدى المرات عقدنا سيمناراً للآباء كهنة المهجر وقلت لهم: كل كنيسة فى تأسيسها لمست يد الرب ومعونته. ليتكم تكتبون لنا عمل الرب مع كل كنيسة.

سجل الذكريات الجميلة يفرح النفس، ويزيد الإيمان فى القلب،

ومثل هذا السجل حينما يقرأه أبناؤنا فيما بعد، سوف يزداد إيمانهم بعمل الله ومعونته. وبهذا يعتمدون عليه أكثر مما يعتمدون على ذراعهم البشرى. وتزداد محبتهم لله.

إن السنكسار يحتاج أن يكمل. فنخزن فيه معلومات جديدة عن عمل الله معنا، وعن وقوفه معنا فى وقت الضيقات.

ويصبح سجلاً للذكريات الجميلة، سواء لدماء الشهداء الذكية، أو نردد فيه قول المزمور "نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين. الفخ انكسر ونحن نجونا. عوننا من عند الرب الذى صنع السماء والأرض" (مز ١٢٤).

الكنيسة لها ذكريات جميلة مع الله، وكل فرد منا له ذكرياته.

غير أننا لا نخزن فننسى. ونتنهى الذكريات، وكأن الله لم يعمل معنا شيئاً. كنائس كثيرة تقتنى الكمبيوتر، لكى تسجل فيه معلومات إدارية تنظم عملها، وهذا حسن.

ولكن هل تفكر الكنائس فى أن تسجل أيضاً عمل الله معنا وإحساناته الكثيرة إلينا، وتسجل مع ذلك حبنا وشكرنا له، ونمجده على كل ما فعل ...

هناك أشياء أخرى يمكن أن نخزنها، ولو فى السماء.

بعمل الرحمة يمكن أن نكنز لنا كنوزاً فى السماء (مت٦: ٢٠)

كل ما تقدمه للفقراء والمحتاجين يكون مكنوزاً لنا فى السماء، يرده الله لنا أضعافاً مضاعفة. فهو الذى قال "طوبى للرحماء فإنهم يرحمون" (مت١٩: ١٧). بل يقول الكتاب "من يرحم الفقير، يقرض الرب" (أم١٩: ١٧).

إنه قرض مخزون عند الرب. والرب لابد سيعطينا ما أقرضناه!! لا يمكن أن يضيع شىء مخزون فى السماء. بل حتى كأس الماء البارد لا يمكن أن يضيع أجره (مت١٠: ٤٢).

التخزين الردئ

احترس من نوعية ما تخزنه. فما تزرعه إياه تحصد.

تكلمنا عن الخزين الروحى المفيد. ولكن علينا أن نحترس من كل خزين ضار فى أفكارنا وقلوبنا.

أضع أمامك مثالاً، وهو حالة المريض الذى يبدأ أن يستفيق من التخدير. ويكون فى حالة متوسطة بين الصحو والتخدير. وأحياناً يتكلم فيذكر أموراً لا

يستطيع أن يضبط نفسه فى التحدث بها. وقد تكون من أسرار حياته وخصوصياته التى يخجل أن يعرفها غيره!!

هنا يخرج المخزون فى حالة عدم انضباط..!

إن كنت تحرص على عدم البوح بأمثال هذه الأمور.

فنصيحتى لك أن تنقى مخازنك الداخلية. مخازن الفكر والمشاعر والرغبات. وإلا فإنك ستخرج من كنزك جدداً وعتقاء (مت١٣).

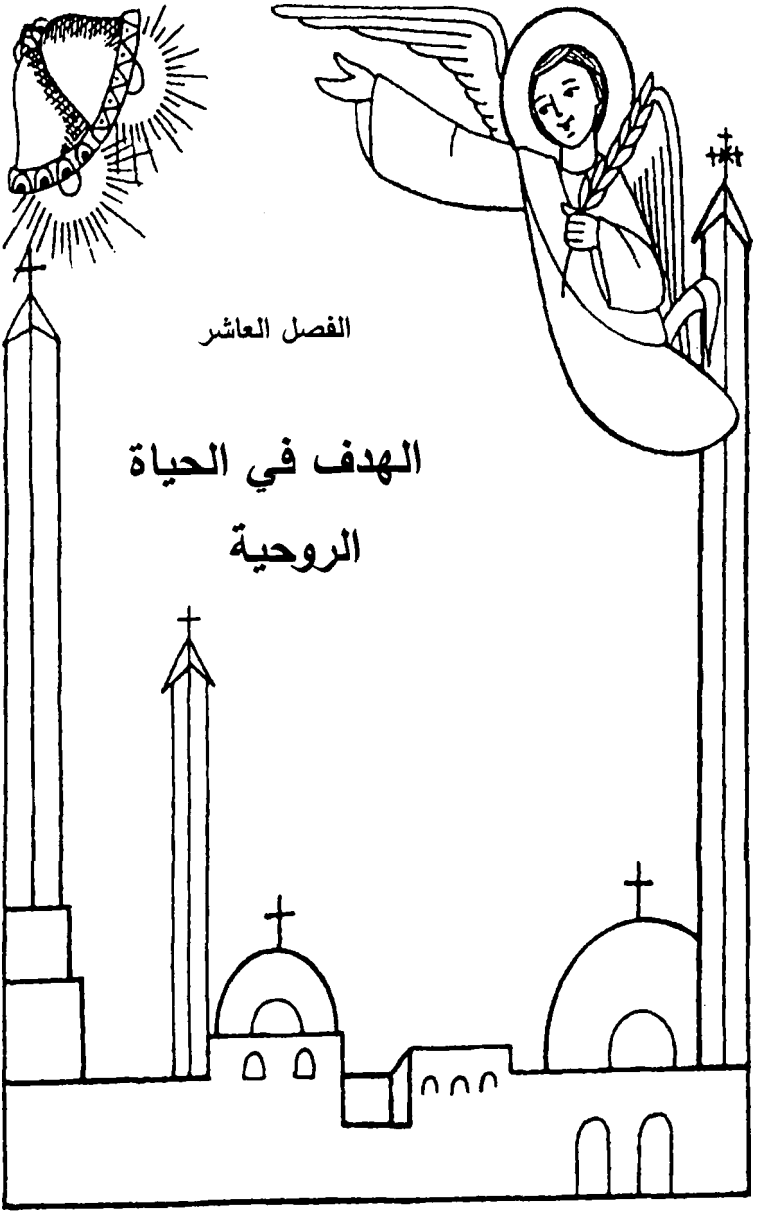

الفصل العاشر

الهدف في الحياة الروحية

الهدف فى الحياة الروحية[١٠]

قيل عن السيد المسيح فى هذه الأيام، إنه كان " قد ثبت وجهه نحو أورشليم". إنها نظرة ثابتة، وخطوة ثابتة، نحو هدف ثابت. هذا الهدف كان واضحاً منذ البدء. ألم يقل لأمه فى طفولته، فى سن ١٢ " ينبغى أن أكون فيما لأبى" (لو ٢: ٤٩)؟ إنه بهذا يعطينا فكرة عن وضوح الهدف وثباته.

الهدف فى الحياة الروحية

كان دانيال النبى واضحاً فى هدفه، وهدفه كان الرب وحده. لذلك عندما عاش فى قصر الملك، لم يكن هدفه القصر ولا الملك ولا الوظائف. لهذا أمكن أن يحفظ نفسه طاهراً فى الغربة. وقال عنه الكتاب " وأما دانيال، فجعل فى قلبه ألا يتنجس بأطايب الملك ولا بخمر مشروبه" (دا ١: ٨). وهكذا أستطاع أن يفتح نافذته المطلة على أورشليم ويركع للرب، غير مبال أن يلقى فى جب الأسود.

ينبغى أن يكون لكل إنسان هدف واضح ثابت. وإذا كان هدفه محدداً، أمكن أيضاً أن تتضح وسائله. أما الذى ليس له هدف ثابت، فإنه لا شك يرتبك فى كل سبله.

يعجبنى فى حياة القديس أرسانيوس، أنه كان يضع هدفه دائماً أمام عينيه. لذلك كان – بين الحين والآخر – يناجى نفسه قائلاً " تأمل يا أرسانى

---

[١٠] القيت هذه المحاضرة مساء الجمعة الموافق ٩ ابريل ١٩٧٦.

ما خرجت لأجله ".

يوحنا المعمدان كان له أيضاً هدف ثابت، وهو أن يهيىء طريق الرب، ويعد له شعباً مستعداً. لذلك وضح منهجه فى العمل. لقد نادى بالتوبة، فى حزم وفى غير مجاملة، لأنه بهذا يعد طريق الرب. ولو أدى الأمر إلى قطع رأسه ..

هدفنا هو الرب

الأهداف فى الدنيا كثيرة جداً لا تنتهى، ولكن سعيد من كان له هدف واحد، وهو الرب، وليس غير. قال بولس الرسول "لى الحياة هى المسيح" (فى١: ٢١)، المسيح هو حياتى، هو هدفى، إن بعدت عنه ضعت. من أجل هذا أستطاع أن يقول "خسرت كل الأشياء، وأنا أحسبها نفاية، لكى أربح المسيح" (فى ٤: ٨). نعم، من كانت حياته هى المسيح، يرى الموت ربحاً.

كثيرون يسألون "ماهو هدفنا فى الحياة؟"، كأنهم يعيشون بلا هدف، أو يجهلون هدفهم ! أو أنهم لم يجعلوا الله هدفهم ..

الهدف معروف وهو الله. والأجدر هو السؤال عن الوسائل ... عندما نبعد عن الله، وندخل فى حياتنا أهدافاً عالمية، حينئذ نضل الطريق. قال بولس الرسول "لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم، إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً" (١كو ٢: ٢). إنه هدف واحد محدد لا يحيد عنه ...

إبراهيم أبو الآباء لما جعل الله هدفه، أستطاع أن يترك وطنه وأهله وبيت أبيه، وسهل عليه أيضاً أن يقدم أبنه محرقة. كل هذه أمكنه أن يتركها، لأنها ليست أهدافه ... ولما اختلف رعاته مع رعاة لوط، ترك له

حرية أن يختار ما يشاء من الأرض، لأن الأرض ليست هدفه. الهدف واحد، وهو الله ...

إن كان هدفك هو الله، تستطيع أن تستغنى عن كل شىء، كما قال بطرس للمسيح "تركنا كل شىء وتبعناك" (مت ١٩: ٢٧). "من أحب أباً أو أماً أكثر منى، فلا يستحقنى" (مت ١٠: ٣٧). هكذا قال الرب. وقال أيضاً " تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قوتك" (تث ٦: ٥).

وأستعمل الكتاب تعبير(كل)، لأنه لا هدف سوى الله وحده. أخشى أن يكون العالم قد وضع أهدافاً كثيرة فى طريقنا.

إن الشيطان يجول فى الأرض يوزع أهدافاً، ويبذر أغراضاً وآمالاً وشهوات .. وأول هدف يقدمه الشيطان هو الذات ... منذ البدء، والذاتُ هى الهدف المنافس لله ..! منذ أن قال الشيطان "أصعد إلى السموات، أرفع كرسى فوق كواكب الله، أصير مثل العلى" (أش ١٤: ١٤).

إنها الذات التى صارت هدفاً: أنا أصعد، وأنا أكون، وأنا أصير .. ونفس هذه الحرب، هى التى قدمها الشيطان للإنسان. "تصيران مثل الله، عارفين الخير والشر"(تك ٣: ٥). آدم وحواء كان هدفهما هو الله ومحبته، فحوله الشيطان إلى الذات، وألوهية الذات، ومعرفتها المساوية لمعرفة الله !

كم ضاع أناس جعلوا المعرفة هدفهم، المعرفة التى تنفخ .. حارب الشيطان بها آدم وحواء. لأن الشيطان (كاروب)، واحد من طغمة الكاروبيم. وكلمة (كاروبيم) عبرانية معناها (ملء المعرفة).

والعجيب أن الإنسان – لما أكل من شجرة المعرفة – صار جاهلاً. لأنه

ألتمس معرفته من مصدر بعيد عن الله ...

من الاهداف الجبارة التى وضعها الشيطان أمام الناس: اللذة .. كم من أناس هدفهم أن يلتذوا، وأن يتمتعوا ... بل صارت اللذة فلسفة عند الأبيقوريين، لذة الجسد والعين وتعظم المعيشة ... صار هدف هؤلاء هو اللذة بكل أنواعها، لذة الحواس، ولذة المأكل والمشرب " لنأكل ولنشرب، لأننا غداً نموت".

ثم كثرت الأهداف فى الدنيا، وفى طريق الرب أيضاً .. تدخل فى الخدمة، ويدخل الشيطان معك، يقدم لك أهدافا. هدف الشهرة فى الخدمة، والألوية والسيطرة، ومحبة المديح .. كما لو كان مدح الناس لخدمتك، أهم من تأثير الخدمة وعملها فى خلاص الناس.

وهكذا أختفى الله فى الخدمة، وظهرت الذات. وهكذا أيضاً فى عمق الحياة الروحية، كثيراً ما تكون الذات هى الهدف. يصلى الإنسان، لا لكى يتمتع بالوجود فى حضرة الله، ويثبت فى الله، والله فيه. وإنما لكى يصير "رجل صلاة". ويصوم لكى يتفوق فى الصوم، لكى يرضى عن نفسه أنه عابد، أو لكى يرضى عنه الناس.

أصبح الطريق إلى الله هو الهدف، وليس الله ... ويسألك الله: أين أنا وسط أهدافك الكثيرة؟! ونشعر أننا قد ضللنا الطريق، ونحتاج أن نراجع أهدافنا ...

إن كان هدفك هو الله، فسينحصر إهتمامك فى كل ما يتعلق بالله: ملكوته، كنيسته، إنجيله، أولاده. ولكن حذار من أن تنخدع فى الطريق، وتنحرف وسائلك.

إنسان يقول إنه يحب الكنيسة، ويحب الإصلاح لنشر الملكوت. ومن أجل الإصلاح: يشتم، ويتشاجر، ويدين غيره، ويتخاصم، ويتذمر، ويفقد وداعته وتواضعه... مسكين هذا الإنسان، أجدر به أن يصلح نفسه، قبل أن يصلح الكنيسة ... لقد فقد الله فيما يتكلم عن الإصلاح.

لم يعد الله هدفه، وإنما الإصلاح. وليس هذا هو الإصلاح بالحقيقة، لأن الإصلاح يبدأ أولاً داخل النفس وليس خارجها.

يصيح هؤلاء " الكنيسة". وتنظر إلى طرقهم، فلا تجدها تليق بأبناء الكنيسة، ولا بأعضاء فى جسد المسيح، بغير حب، بغير إتضاع، بغير سلام... فتشعر أنهم فقدوا الهدف.

كل هدف يبعدك عن خلاص نفسك، أعرف أنه خدعة من الشيطان .. وكذلك كل وسيلة. الشيطان يريد أن يضللك، حتى وأنت داخل الكنيسة، حتى وأنت تصلى ... كإنسان من فرط محبته لله، تغلبه الدموع فى صلاته. فينسيه الشيطان محبة الله، ويذكره بالدموع، ويركز كل إهتمامه بها كدليل على الروحانية والعمق. وتتحول الدموع إلى هدف، أثناء الصلاة، ويختفى الله، وتبقى الدموع كمظهر من الإهتمام بالذات.

هل تظن أن الذين ضلوا، ضلوا جميعهم خارج الكنيسة. كلا، ففى داخل الكنيسة ضل كثيرون، وإنفصلوا عنها وهم داخلها. إن قصة الإبن الضال دليل على هذا الأمر: ضل الإبن الصغير خارج بيت أبيه، وضل الكبير داخل البيت والخدمة. كان يخدم أبيه "سنين هذا عددها". ومع ذلك لم تكن له محبة نحو أبيه ولا نحو أخيه، وتكلم كأجير وليس كإبن. ولم يفرح برجوع أخيه، ولم يشترك مع الآب فى فرحه، ولام أباه قائلاً " لم تعطنى قط جدياً

لأفرح مع أصدقائى" (لو١٥) كأنه ينسب إلى أبيه البخل وعدم التقدير. فعل كل هذا وهو مع الآب، وفى الخدمة، وأهتم بأصدقائه، وبالجدى، وبفرحه، أكثر من الآب ومشيئته وحبه.

وهكذا فقد الابن الكبير هدفه، وهو فى الخدمة "مع الآب"! هذا الابن الكبير دخلت إليه أهداف أخرى: ذاته، ومركزه، وتقدير أبيه له، ولزوم تفوقه فى الإكرام على أخيه .. فضاع.

كم من أناس بدأوا الطريق بهدف سليم، هو ملكوت الله وبره، ثم أنحرفوا إلى أهداف جانبية أهلكت أنفسهم. كم من خدام بدأوا الخدمة بالله، وكملوها بالذات ... بدأوا بمجد الله، وأنتهوا بمجد أنفسهم. لما بدأوا بالخدمة، كان الله لهم هو الكل فى الكل .. وقليلاً قليلاً أختفى الهدف الإلهى، وحلت محله الروتينية، أو حلت محله الذات، أو صارت الخدمة هدفاً فى حد ذاتها، وليست وسيلة موصلة إلى الله !! أو صارت الخدمة هدفاً لهؤلاء. ثم صار هدفهم نجاح الخدمة. وأصبح النجاح هو كل ما يشغلهم، وفى سبيله لجأوا إلى طريق علمانية أو دنيوية، وفقدوا الله.

لذلك علينا أن نراجع أنفسنا: نراجع أهدافنا ووسائلنا، ونعرف مركز الله فيها، بكل دقة وبكل صراحة.

هل الله هو أحد الأهداف، أم الهدف الأول، أم الهدف الوحيد؟ أم هو ليس هدفاً على الإطلاق. هناك علامات توضح لك سلامة الهدف، وسلامة وسائله منها: **إنك لو خسرت كل شىء، وبقى لك الله، لا تحزن. ولو كان هدفك هو الله، فستعيش فى سلام على الدوام.**

ولعل من الأمثلة الرائعة فى هذا الأمر، يوسف الصديق: لقد خسر حريته

وبيع كعبد، وخسر سمعته وألقى به فى السجن، وخسر أيضاً أبويه وأخوته ووطنه، وعاش غريباً. ومع كل ذلك كان سعيداً، لأنه لم يخسر الهدف الوحيد الذى هو الله ...

إن خسرت كل الأشياء، ويقى لى المسيح، فأنا أغنى جميع الناس. إننا نتعب حينما نفقد الهدف الإلهى، ونتخذ لنا أهدافاً عالمية. إن العالم يتلظى فى جحيم الأهداف، وهو غير سعيد.

ولعل من أعجب المتاعب فى حياة الناس، أن الله يتحول من هدف إلى وسيلة، مجرد وسيلة لتحقيق أهدافهم. فإن لم يحققها لهم، ثاروا وجدفوا وتركوا الله والدين، وقد تكون أهدافاً خاطئة!

ما أصعب أن نركز أهدافنا فى هذا الزمن الذى ينتهى بعد قليل. ليتنا نهتم بما فوق، ونجعل أهدافنا لها طابع الأبدية ...

الفصل الحادي عشر

حياة النقاوة

حياة النقاوة[11]

يلزمنا فى الصوم حياة النقاوة. وقد خلق الله آدم وحواء، على صورته، فى نقاوة كاملة، لم نصل إليها نحن، ولن نصل إليها فى هذا العالم. كان آدم وحواء لا يعرفان الخطية إطلاقاً، لا يعرفان إلا الخير. ثم بدءا يعرفان الخطية...

معرفة الخطية

كانا – قبل الأكل من شجرة معرفة الخير والشر – نقيين، لا يعرفان إلا الخير ... وما كانا يعرفان ما هو الشر ... فكانا بسيطين، لم يدخلا بعد فى هذه الثنائية المرعبة، التى هى الخير والشر ...

وهكذا كانت أول مشكلة عكرت نقاوة الإنسان، هى معرفة الشر. الله كان يدرك أن معرفة الشر تؤذى الإنسان، فأبعدها عنه. ولكن الحية التى كانت تدرك مدى خطر معرفة الشرعلى الإنسان، دعتهما إلى شجرة المعرفة، وقالت لهما: يوم تأكلان، تنفتح أعينكما ... وتصيران عارفين الخير والشر.

وقد أنفتحت عينا الإنسان، وعرف الشر، فأتعبته المعرفة .. بدأت نظرته تتغير، وشعر بالخجل، فغطى نفسه. وإذا بفكره النقى تدخله أفكار ما كانت فيه من قبل .. (وعرف) آدم حواء، معرفة جنسية، ما كانت فى فكره إطلاقاً من قبل ...

---

[11] القيت هذه المحاضرة مساء الجمعة الموافق ١١ مارس ١٩٧٧.

معرفة الشر، هى التى قال عنها الحكيم "الذى يزداد علماً، يزداد غماً". حقاً هناك أشياء: بعد أن يعرفها الإنسان، يصرخ فى ألم ومرارة " ليتنى ما عرفت هذا " ... ليتنى ما تفتحت عيناى، ليتنى ما فهمت هذه الموضوعات ... هذه المعرفة أدخلت إلى عقلى أفكاراً، لست أستطيع التخلص منها، وطبعت فى عقلى الباطن أموراً كلما أذكرها أتعب ... لقد تفتحت عيناى على أمور، أضرتنى معرفتها، وحطمتنى صورها !

ليتك تكون حكيماً رزيناً، لا تأبه لتعبيرات الناس التى تقول عنك " هذا شخص (خام) و (مقفل) ... فالأجدر بك أن تبعد عن كل أنواع المعرفة التى تضرك ... والتى تدخل فى قلبك مشاعر وأحساسات وتثير فيك غرائز ورغبات.

هناك أشخاص يبحثون بكل قواهم عن معرفة الشر التى تضرهم، سواء عن طريق قراءات، أو مناظر، أومناظر، أو معلومات يسمعونها، وفى كل ذلك يحفر عقلهم الباطن خطوطاً عميقة فى داخله، من معلومات، تعود إليهم كأفكار، أو كظنون، أو شكوك، أو أحلام، أو تظهر فى قلوبهم كشهوات ورغبات ...

هذا الخزين فى عقلهم الباطن، تخرج منه صور ومشاعر ... ما أكثر ما يخرجه العقل الباطن، جدداً وعتقاء، مما اختزن فيه. لذلك إن أردت حياة النقاوة، فابعد عن معرفة الشر.

وإن كنت قد عرفت من قبل أشياء تضرك، فلا تكمل المسيرة. لا تضف شيئاً جديداً. وحاول أن تنسى ما عرفته، بعدم أستعماله. لا تفكر فى تلك المعلومات، ولا تستعملها. وإن تذكرتها، حاول أن تستبدلها بمعلومات أخرى،

فتمحى بعدم الأستعمال ...

لهذا يقول الكتاب إن " المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة" (١كو ١٥: ٣٣). لماذا؟ لأنها تدخل إليها معارف ضارة، ومعها مشاعر وإحساسات. ولنفس السبب يأمرك أنك "فى مجلس المستهزئين لا تجلس"(مز ١). ومجلس المستهزئين لا يعنى الناس فقط، وإنما أيضاً الصور والقراءات.

وبمعرفة الشر، تجد الإنسان قد تغير، دخلته أشياء جديدة! هذه المعرفة قد تكون سطحية عند البعض، وقد تكون عند آخرين عميقة جداً، وتدخلهم أحياناً فى معرفة أخرى، اختبارية. وهنا يتطور الإنسان من معرفة الخطية إلى اختبارها .. هنا لا يقتصر على المعرفة العقلية، إنما يتلامس مع الخطية، يدخل إلى مذاقتها وأختبارها. فإما أن يقبلها، أو يتصارع معها. وقد ينجح فى ذلك، وقد يفشل.

ومن هنا، كان الهروب من الخطية أفضل من مصارعتها. لما هرب يوسف الصديق، أنقذ نفسه ولم يسقط. لهذا، عندما تهرب، يحاول الشيطان أن يرجعك إلى مجاله، فيعيرك بالخوف، ويصف هروبك بالجبن. فلا تهتم، ولا تجعل تعييرات الشيطان تثيرك.

إن الهروب يدل على نقاوتك، وعلى رفضك للخطية. قال الملاك للوط "لاتقف فى كل الدائرة. اهرب لحياتك". وقال أحد القديسين: حينما تقترب من مادة الخطية، يحاربك شيطانان، أحدهما من الداخل، والآخر من الخارج. أما فى بعدك عن مادة الخطية، فيحاربك شيطان واحد، هو الرغبة.

لماذا تقترب إلى الخطية، وتدخل نفسك فى صراع، وربما تضعف إرادتك

فيه وتسقط؟! لماذا تضيع حياتك صراعاً؟!

إذن أمامنا مراحل: معرفة الخطية، التلامس معها، الصراع معها. قال الرب لقايين "عند الباب خطية رابضة، وإليك إشتياقها، وأنت تسود عليها" (تك ٤: ٧). ولكن قايين، بعد أن كان يسود عليها، سادت الخطية عليه ... هزم فى الصراع.

فى أول تلامسك مع الخطية، قد تكون إرادتك قوية. ولكن ببقائك فى مجالها، قد تحاصرك الخطية، وتضعف إرادتك، وتخضع. كإنسان فى أول مراحل التدخين، يقول إننى أستطيع ترك (السجاير) فى أى وقت. ولكنه إن استمر، لا يستطيع. وكشخص انطلق عليه غاز سام، يستطيع أن يهرب. فإن بقى، وحاصره الغاز، يحاول أن يهرب، أو يتحرك، فلا يستطيع ... الأفضل إذن أن تبعد، لتظل إرادتك قوية، فلا تسقط.

وأصعب من السقوط فى الخطية، أن تصل إلى محبة الخطية. قد يسقط الإنسان، ولكنه يثورعلى ضعفه، ويندم ويتوب. لقد أخضعت الخطية إرادته، ولكن قلبه ما يزال سليماً، يحب الله. لذلك تحاول الخطية أن تستولى على قلبه ... فيحب الخطية.

والذى يحب الخطية، توبته صعبة. فهو يريد أن يتركها، لأنه يحبها. وإن تركها، سرعان ما يعود إليها ... وأصعب من محبة الخطية، أن يصل الإنسان إلى اشتهائها. وحينئذ يسعى هو إليها، بعد أن كانت تسعى إليه. وقد تهرب منه الخطية، فيجرى وراءها، ويطلبها بكل قلبه.

وقد يشتهى الخطية، ويطلبها فلا يجدها، فيتحول من الشهوة إلى التحرق. ويتطور من الخضوع للخطية، إلى العبودية لها. وتصير الخطية

له كأنها عادة، كأنها طبع أو طبيعة!!

وهذه أسوأ الحالات، التى يتدرج إليها الإنسان من معرفة الخطية. وهنا لا يحاربه الشيطان، إنما هو الذى يدمر نفسه. بل إنه يتوسل إلى الشيطان، أن يمنحه فرصة لكى يخطىء! فما دام التطور يصل إلى هذا الحد، فلنهرب من الخطوة الأولى التى هى معرفة الخطية، ولنحاول أن ننسى ما عرفناه.

وعندما نصلى "أغسلنى، فأبيض أكثر من الثلج"، لا نقصد فقط أن يغسلنا من الخطية ومحبتها، بل أيضاً من معرفتها. نطلب أن ينسينا الله كل ما عرفناه عن الخطية، وأن ينقى أفكارنا، ويطهر العقل الباطن والذاكرة من كل ما تسجل فيهما وترسب فيهما، وينقى القلب والحواس من بقايا خبراتها القديمة...

يخيّل إلىّ أن هذه النقاوة الكاملة من معرفة الخطية، سننالها فى الأبدية. حينما نعود إلى بساطة آدم الأول، فلا نعرف سوى الخير فقط، وتنقطع كل صلتنا بالخطية ... تنقطع صلتنا بكل شهواتها وأفكارها ومحارباتها، وبكل معرفتها أيضاً ..

ولعل هذا، هو ما قصده بولس الرسول، حينما قال " ... وأخيراً وضع لى إكليل البر، الذى يهبه لىَ فى ذلك اليوم، الرب الديان العادل، وليس لى فقط..." (٢تى ٤: ٨).

وهنا تصير فترة خبراتنا مع الخطية فى العالم، كأنها حلم مزعج، أستيقظنا منه فى الأبدية، وقد نسيناه تماماً ... أما على الأرض، فليتنا – كلما يغسلنا الرب فى التوبة – لا نعود مرة أخرى إلى حياة الخطية بخبراتها المؤلمة ... وإن لم نستطع أن ندرك (إكليل البر) فى هذا الزمان الحاضر، فلننل ما نستطيعه، لا من برنا الذاتى الذى يتلوث، وإنما بر المسيح الذى يمنحنا إياه، بروحه القدوس.

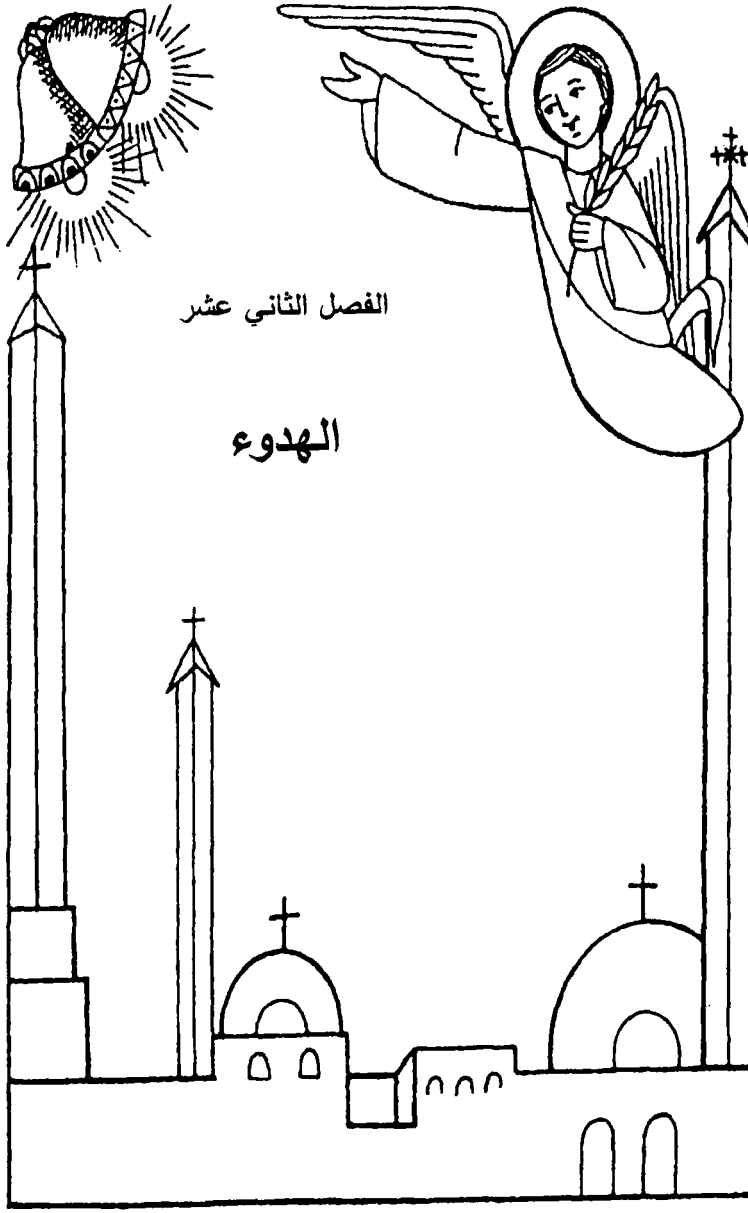

الفصل الثاني عشر

الهدوء

الهدوء[١٢]

الصوم يناسبه الإعتكاف. فقد قال الكتاب "قدسوا صوماً، نادوا باعتكاف". والإعتكاف يناسبه الهدوء.

وأود أن أكلمكم عن الهدوء، بكل أنواعه، وكيف نحصل عليه.

السيد المسيح قضى فترة الصوم فى الجبل، فى جو من الهدوء والسكون، والصمت والإعتكاف ... فى جو هادىء لطيف يصلح للخلوة والعبادة ... نفس الوضع كان بالنسبة إلى الصوم فى حياة يوحنا المعمدان، وفى حياة إيليا النبى أيضاً ... جو الجبل و السكون ... وهكذا أيضاً كان آباؤنا القديسون فى أصوامهم ...

مشكلتنا إننا نصوم، فى جو من صخب المدينة و ضوضائها. أو فى صخب نفوسنا وضوضائها ..! كيف إذن نستفيد؟

ياليتنا ندرب أنفسنا فى الصوم الكبير، على الهدوء ...

إن الهدوء هو الوضع الأصيل، منذ القديم، منذ الأزل. كان الله وحده، فى هدوء، ولم تكن هناك خليقة. فلما وجدت خليقة، عكرت الهدوء، ووجدت ضوضاء. وصعد صراخ هذه الخليقة إلى الله، فى هدوئه.

وآدم وحواء، عاشا أولاً فى هدوء، إلى أن دخلت فى حياتهما الحية، فعكرت هذا الهدوء بنصائحها. حاولوا إذن أن تتدربوا على الهدوء، فى فترة الصوم.

---

[١٢] القيت هذه المحاضرة مساء الجمعة الموافق ١٥ فبراير ١٩٨٠ .

والهدوء على أنواع وأشكال: منه هدوء القلب، وهدوء الأفكار، وهدوء الأعصاب، وهدوء الملامح، وهدوء الألفاظ، وهدوء المعاملات.

الإنسان الهادىء، كل ما فيه يكون هادئاً ... الإنسان الهادىء تصرفاته هادئة. إن تكلم يتكلم فى هدوء. وإن تصرف يتصرف فى هدوء. يعيش فى سلام داخلى: يشع سلاماً فى الخارج. وفى هدوء داخلى يفيض هدوءً فى الخارج.

هناك أشخاص ليس لهم هدوء فى طبيعتهم. لهم طبيعة نارية. أينما يحل، يحل معه التوتر والغليان، يسبقه ضجيجه. عبارة عن شعلة، أينما ألقيت أحرقت وأشعلت ... نظراته من نار، كلماته قذائف، وطلباته أوامر وتهديدات...

إن الطبيعة الثائرة، إن وجدت شيئاً هادئاً تثيره ... بعكس الطبيعة الهادئة التى إن وجدت شيئاً ثائراً تهدئه ...

ما هى طبيعتك أنت؟

سواء كنت بطبيعتك عنيفاً أم هادئاً، يمكنك أن تحيا فى هدوء. فالطبائع يمكن أن تتغير.

ولعل من أفضل الأمثلة لذلك، القديس موسى الأسود، الذى كان له طبع قتال، مخيف، فتحول إلى إنسان هادىء لطيف، محب للناس ومحبوب منهم، إنسان مضياف، وديع، بشوش ...

فى الصوم، إن لم نجد هدوء المكان، هدوء الجبال والبرارى ومواضع الخلاء، فعلى الأقل عش فى مناخ داخلى هادىء ...

كان السيد المسيح يأخذ تلاميذه إلى مواضع خلاء، إلى الحقول والبساتين، إلى شاطىء البحيرة، إلى الجبل، ويعظهم هناك ... كل هذا يعطينا فكرة عن محبة الرب للهدوء، ويعطينا درساً.

أول من نتحدث عنه فى الهدوء، هو هدوء النفس ...

إن العمل الروحى تناسبه النفس الهادئة. أما النفس التى فيها فوران كثير، فإنها لا تقدر أن تعمل عملاً روحياً. نفس تفقد هدوءها بسبب الأفكار التى تعصف بها، والمشاعر، والعواصف، والإنفعالات، والرغبات ..

إنسان يفقد هدوءه بسبب القلق، فيضطرب، ويشك فى المستقبل، وفى الحاضر .. ويهزه القلق. إنسان آخر يتعبه اليأس، أو القلق، أو الكآبة والحزن، والضجر، والخوف، فيفقد هدوءه ...

إنسان آخر يحطمه الشك.

الشك فى الأشخاص ومحبتهم وإخلاصهم. الشك فى الأشياء، فى العلاقات. الشك فى المستقبل وما تخبئه الأيام. الشك فى الله نفسه ...

كل هذه أمراض نفسية، قد توجد عند البعض بنسب متفاوته، فتفقدهم هدوءهم جزئياً أو كلياً، حسب ضآلتها أو شدتها ...

أول مرض من هذه، أصاب آدم بعد الخطية، هو الخوف، فأختبأ خلف الشجرة وفقد هدوءه .. ثم القلق الذى حطم قايين ...

لذلك درب نفسك على السلام الداخلى و الهدوء الداخلى.

تقبل كل شىء فى هدوء، مهما كان مزعجاً.

ولا تجعل الأسباب الخارجية تثيرك من الداخل .لا تكن إنساناً سهل الاستثارة. ولا تكن من نوع المادة القابلة للإشتعال.

النفس الهادئة من الداخل تتقبل أى خبر مثير دون أن تضطرب له، إنما الاضطراب يحارب النفوس الصغيرة الضيقة.

إنك إذا ألقيت حصاة فى كوب ماء، يضطرب الماء فى الكوب. أما إذا ألقيت حصاة فى المحيط فلا يمكن أن يضطرب ماء المحيط. إن ألقيت صخرة على جبل، لا يهتز الجبل من الصدمة، أما إن ألقيت الصخرة على كوم زجاج، فإنه يتفتت كله.

فهل أنت فى حياتك جبل لا يهتز؟ أم أنت كومة زجاج؟

أريدكم أن تكونوا جبالاً، لا تهتزون بسرعة، ولا حتى ببطؤ. لا تهتزون أبداً، نفوسكم هادئة صلبة. لا تتزعزع ...

درب نفسك إذن على الهدوء.

وتنبه لنفسك كلما وجدتها ستضطرب أو تقلق لأية إثارة. وأضبط هدوءها. بالهدوء تستطيع أن تحل كل مشاكلك، الروحية، والعالمية .. فالمشاكل لا تحل بالعنف، ولا بالأضطراب والقلق والإنزعاج، ولا تحل بالخوف ولا بالحزن ولا اليأس .إنما تحل فى هدوء.

فى الهدوء تستطيع أن تجلس إلى نفسك، وأن تفكر تفكيراً سليماً، كما تستطيع أن تجلس مع الله. وتعرف كيف تتعامل مع المشاكل، وكيف تتفاعل أو تتجاوب معها ...ليس المهم فى المشكلة ذاتها، وإنما فى الـ Response أقصد فى الأسلوب الذى تقابل به المشكلة وردود فعلك.

إذا هدأت أنت فى الداخل، تهدأ كل الأمور فى الخارج. وإذا أضطربت فى الداخل، ستضطرب أمامك كل الأمور.

لا تكن مثل الشخص الذى توقعه الأخبار فى أمراض (سكر- ضغط - أعصاب)، من فرط تأثره المرضى المنزعج بها. إن الله خلقنا على صورته ومثاله .. لذلك فإن كل ما يتعارض مع الهدوء، ومع قوة النفس، هو دخيل على طبيعتنا.

وهدوء النفس، ينبع منه هدوء الأفكار أيضاً.

وهدوء الأفكار يعنى - من جهة - ثباتها وعدم اضطرابها، أو تنقلها من فكر إلى فكر، بغير تركيز. كما يعنى أيضاً عدم ضغطات الفكر على النفس، وعدم ضغطاته على الإرادة فى مواقف غير منضبطة. لذلك سعى الآباء إلى ضبط الفكر، وإلى قيادته فى طريق الروح.

والفكر الهادىء هو فكر ناجح مثمر. إذا وجدت الأفكار تتعبك، أخرج من دائرتها، وأدخلها فى دائرة أخرى، عن طريق القراءة، أو الصلاة، أو العمل. لا تدع الفكر يسيطر عليك، سيطر أنت عليه...

وكما تدرب نفسك على هدوء الأفكار، تدرب على هدوء الأعصاب.

والأعصاب قد تفقد هدوءها لأسباب جسدية أو لأسباب نفسية. فالجسد فى إرهاقه الشديد، قد يرهق الأعصاب أيضاً، فلا يكون الإنسان محتملاً.

وعلاج ذلك: إما أن تريح جسدك، وإما أن تهرب من المشاكل حينما تكون أعصابك مرهقة جسدياً.

فى حالة الإرهاق لا تدخل فى جدل، ولا تتعرض للمشاكل، أرجئها إلى

وقت هدوء...

كذلك قد تتعب الأعصاب لأسباب نفسية تحتاج إلى علاج ... احتفظ بهدوء أعصابك، لأنها من كثرة الشد والإرتخاء، قد تفقد مرونتها، وحينئذ يصعب علاجها ...

وكثير من الأطباء، لا يعالجون الأعصاب، إنما كل ما يفعلونه أنهم يقدمون لهم راحة عن طريق المنومات والمهدئات، وبالتالى يبعدنها عن الأفكار التى ترهقها.

كن هادىء الأعصاب، لتحل أمورك فى رصانة ورزانة.

وأعلم أيضاً أن الإنسان الهادىء الأعصاب، هو أيضاً محترم من الناس، بعكس الثائر الذى ينتقده الكل، ويتعرض للوقوع فى أخطاء ...

هدوء الأعصاب، يساعد على هدوء الفكر وأيضاً هدوء الألفاظ.

والذى يضبط ألفاظه، يتحكم فى المواقف، ولا يخطىء ... وكم من مشاكل تسببت عن لفظة غير منضبطة، أو تحمل معنى مسيئاً، سواء فى المحيط العائلى، أو المحيط العام. والإنسان الهادىء يستطيع أن يتخير الألفاظ، فلا تؤذى.

من أخطاء البعض مفهومهم عن القوة والكرامة،

بحيث يظنون أنه للحفاظ على كرامتهم، وللتعبير عن قوتهم، ينبغى أن يثوروا ...

وفى ثورتهم يفقدون انضباطهم وهدوءهم فيفقدون أيضاً كرامتهم. لا شك أن القوى هو الذى يستطيع أن يتحكم فى تصرفاته. من يضبط نفسه، يمكنه أن

يضبط المواقف أيضاً. وفى هدوء يعطى صورة جميلة عن أولاد الله.

على أن هناك فرقاً كبيراً بين هدوء الأعصاب، والبرود المثير. لأن إثارة غيرك بالبرود لا تتفق مع المحبة.

والإنسان الهادىء حقاً، هو الذى يحتفظ بهدوء الموقف كله، وليس بهدوئه الشخصى فقط، ويستطيع بهدوئه أن يهدىء ثورة غيره وإنفعال غيره.

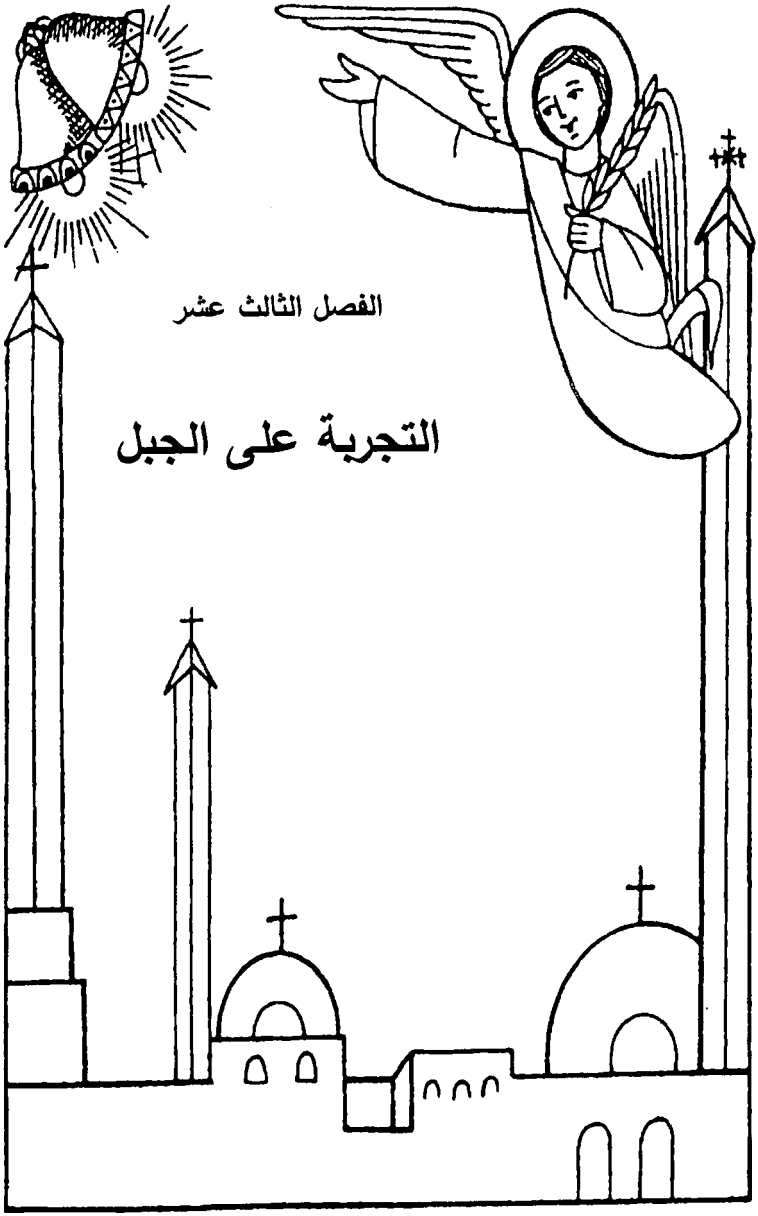

الفصل الثالث عشر

التجربة على الجبل

التجربة على الجبل[١٣]

فى الحقيقة، كلما أتأمل هذا الموضوع، أتعجب جداً من صبر الله وطول أناته العجيبة فى معاملته للشيطان.

طول أناة الله فى معاملته للشيطان

تجرأ الشيطان أن ينافس الله، فقال "أصير مثل العلى" (أش١٤). وأراد أن يوقع الإنسان الأول فى نفس هذه الخطية، فقال لآدم وحواء " تصيران مثل الله، عارفين الخير والشر" (تك٣)... ثم أستمر يحاول تحطيم ملكوت الله فى البشر، ويجتذب آلافاً وملايين من الناس إلى مخالفة الله.

كل ذلك، والله صابر، لا يبيد الشيطان ولا يفنيه. أزاغ الشيطان عدداً لا يحصى من الناس، فى الإلحاد، وفى عبادة الأصنام، وفى الفساد، وفى كل أنواع الإنحراف والتجاديف، وما يزال الله يطيل أناته عليه ... لم يأت بعد، اليوم الذى سيلقيه فيه فى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت ...

وفى هذا كله، يعلمنا الله أن نصبر على أعدائنا ومقاومينا، ونطيل أناتنا على مكائدهم ومحارباتهم ...

العجيب أن الشيطان بعد كل هذا، يجرؤ أن يندس وسط أولاد الله، فى قصة أيوب، ويقف بلا خجل ولا حياء، ليخاطب الله الذى طالما حارب هذا الشيطان ملكوته ...

والأعجب من هذا أن الله كلم الشيطان، دون أن يلعنه، أو حتى يوبخه،

---

[١٣] القيت هذه المحاضرة مساء الجمعة الموافق ٥ مارس ١٩٧٦.

ودون أن يجرح شعوره بكلمة شديدة، بل على العكس، أعطاه فرصة أخرى يمارس فيها هوايته فى محاربة الملكوت !!

إن سماح الله للشيطان أن يكلمه فى قصة أيوب، أخف بكثير جداً من سماحه له أن يجربه على الجبل، وأن يختار المكان المناسب للتجربة. حتى أنه من استهانة الشيطان نتيجة لهذا السماح، طلب من السيد المسيح أن يسجد له !!!

وهنا أنتهره الرب، فذهب. وكان يمكن أن ينتهره ويطرده من أول التجربة كلها ... وكما أطال الرب أناته على الشيطان، ما يزال يطيل أناته على أعوانه و جنوده فى كل زمان ...

كل هذا لكى يعلمنا كيف نتعامل مع أعدائنا ... فلا نكافىء الشر بالشر، ولا القسوة بالقسوة، ولا العداوة بالعداوة ... إن الله لم يحطم الشيطان حتى الآن، فما يزال يعمل ... وسيظل يعمل حتى تأتى ساعته التى لم تأت بعد...

مبدأ التجربة و الإختبار

الدرس الثانى الذى نتعلمه هو التجربة ذاتها، ولزومها... الله أختبر أبانا إبراهيم عدة أختبارات: أختبره حينما طلب إليه أن يقدم ابنه ووحيده محرقة ... ومع معرفته بقلب ابراهيم، إلا أنه جربه ... وكذلك فعل مع أيوب الصديق.

إنه يجرب الإنسان، لكى يتزكى، ولكى يتكلل، ولكى يكون قدوة لغيره، ولكى ينسحق قلبه من التجربة ويتضع، ولكى يتدرب على الصلاة، ويتدرب على الإحتمال ...

كل هذا بالنسبة إلى الإنسان ... أما تجربة ابن الله، فكانت لها أسباب أخرى، لعل فى مقدمتها أن الشيطان أراد أن يعرف من هو هذا الذى شهد له الروح القدس فى العماد ... أحقاً هو ابن الله ..؟

وإن كان كذلك، فلماذا لا يستخدم سلطانه كإبن؟! وما لزوم الجوع والوحدة والصوم ...؟! إن كان المسيح نفسه قد جرب، فلنقبل التجارب بدون تذمر،

ولننصت إلى قول القديس برصنوفيوس: **إن كنا خطاة فبالتجارب نؤدب. وإن كنا أبراراً، فبالتجارب نتزكى. وعلى كل حال فالتجارب نافعة لنا.**

ثالث درس نأخذه من التجربة على الجبل هو :

الجبل فى حياة السيد المسيح

كان السيد المسيح يحب الجبال، وتمثل الجبال أهمية فى حياته: كما كانت التجربة على جبل، كانت العظة أيضاً على جبل، وكانت تأملاته وصلواته على جبل الزيتون فى بستان جثسيمانى. وكان مجده على جبل التجلى، وكان صلبه على جبل الجلجثة ...

إن الجبال بطبيعتها، لها متعتها الروحية، إذ لم تتدخل يد الإنسان فيها لإفسادها ...

إن الذى جرب فيكم القفر والبرية والهدوء والسكون والطبيعة الهادئة البعيدة عن يد البشر، يعرف ما للجبال من تأثير ...

قال مار إسحق "إن مجرد نظر القفر، يميت من القلب الحركات العالمية". إنها الجبال البعيدة عن سجس الحواس.

ما أجمل قول الكتاب عن الرب: أساساته فى الجبال المقدسة.

وقد عاش القديسون فى الجبال، الجبال المقفرة، التى ليس فيها مناظر تستهوى الحواس، فى مكان بلا ماء، وموضع غير مسلوك.

وهناك إذ لم تنشغل حواسهم بما يغريها، انشغل فكرهم بالعمل الإلهى، وانشغل قلبهم بمحبة الله، بدون معطلات.

آدم بدأ حياته فى الجنة. وفى الجنة مناظر تغرى الحواس، فحورب بالأكل وبشهوة الثمار. ونظر فإذا الشجرة جيدة للأكل، وبهجة للعيون، وشهية للنظر... وبدأ يحب العالم والمادة.

أما المسيح فلم يبدأ خدمته بالجنة كآدم، إنما بدأها بالقفر، بزهد فى المادة، بعيداً عن الثمار والأزهار ...

ليت الجبال تكون موضع تأمل لكم، وموضع صلاة وخبرة. وليتكم تقضون فيها عطلاتكم بدلاً من أماكن العثرات والشهوات.

السيد المسيح بدأ خدمته بالوحدة والهدوء والصمت.

ترك جميع الناس، وجلس وحده على الجبل. ترك أمه العذراء، وأبناء خالته يعقوب ويهوذا ويوسى، ترك الكل ...

كانت محبة كبيرة من العذراء، أنها لم تعرقل وحدة ابنها ...

إنه ابنها الوحيد، وكانت تحبه. ولكنها تركته وحده. لم تقف عائقاً أمام عمله الروحى. كان يرن فى أذنها قوله وهو صبى " ينبغى أن أكون فيما لأبى" (لو ٢ :٤٩).

ما أنبل الأم التى لا تقف فى طريق ابنها الروحى، ولو ضحت بعواطفها، وأبعدت أمومتها عن الأنانية، ومزجتها بالحكمة.

رضيت العذراء أن ينفرد ابنها على الجبل، مع الوحوش، بعد الإعلان المجيد الذى صاحب عماده. وقبلت أن يترك البيت، ويجول من قرية إلى قرية، ومن مدينة إلى مدينة، ليس له أين يسند رأسه. وقبلت أن يكون مكانه المفضل هو جبل الزيتون ...

إن المسيح الذى أختار الجبل والصمت والهدوء، أختار له أيضاً أماً صامته هادئة. **كلمة الله، وحكمة الله ونطق الله، جلس صامتاً ...!**

ولكنه صمت متأمل، وصمت مدبر ... إن صمت الابن، هو حديث الابن إلى الآب ... يصمت فمه، ويتكلم قلبه. يصمت لسانه، وتنشغل مشاعره بالإلهيات ...

وهكذا عاش المسيح ثلاثين سنة، لم نسمع أخباره خلالها.

لأن العمل الجوانى لم يسجل لنا فى الأناجيل، إنما سجلت لنا الأحداث والأحاديث. ولعله بنفس الوضع كان يوحنا المعمدان، الذى قضى ثلاثين سنة فى البرية قبلما يبدأ خدمته.

وشاء المسيح أن يولد من فتاة صامته أيضاً ...

ترى كثيراً، وتتأمل كثيراً، دون أن تتكلم ... " تحفظ كل تلك الأمور، متأملة بها فى قلبها".

هذا الصمت العجيب، كان مظهراً للعمق الداخلى ...

كان مجالاً للصلاة، وللتأمل، وللعمل الجوانى وللتدبير الهادىء .. إن

الصمت مظهر للإتزان وللحكمة والروية والهدوء .. وفترة الهدوء هذه، كانت فترة الاستعداد للخدمة، فترة التدبير قبل العمل ... إن فى صمتك سراً لن يرى قدس أقداسه إلا الصامتون.

هكذا كان المسيح، وكانت أمه، والملاك الذى أعد له الطريق. إن الإنسان العميق يرى أن "الاستماع أفضل من التكلم". فى صمته يفكر، وفى صمته يصلى، وفى صمته يدخل إلى أعماق الأمور. فى صمته يجلس مع الله، ويجلس مع نفسه. وفى صمته يبعد عن أخطاء اللسان.

والمسيح لم يصمت بعداً عن أخطاء اللسان، ففيه كل كنوز الحكمة والمعرفة ... ولكنه صمت عمقاً، وصلة مع الآب ...

لسنا ندرى أعماق هذه الأربعين يوماً التى جلسها المسيح صامتاً ... كل يوم منها كان قدس أقداس، بل كل ساعة، بل كل لحظة. من يستطيع أن يدخل إلى لُجة هذا الصمت المقدس، وما يحويه من أحاسيس ومشاعر وأفكار، وما يحويه من حب ومن حكمة ... ومن أسرار.

فى هذه الأربعين يوماً، وضع السيد المسيح أسس الخدمة التى يسير عليها ...

كانت فى قلبه، ووضعها كمبادىء راسخة يمكن أن يقتدى بها كل خادم روحى.

إن السيد المسيح يعطينا فكرة عن أهمية الخلوة قبل الخدمة. أهمية الأربعين يوماً التى يقضيها الكاهن فى الدير قبل خدمته، وأهمية ساعة الصلاة التى يقضيها كل خادم فى مخدعه قبل أن يتحدث إلى الناس أو يفتقدهم ...

حياة الانتصار

إن فترة الأربعين يوماً التى قضاها المسيح على الجبل، لم تكن فقط فترة هدوء وتأمل وصلاة، وإنما أيضاً كانت مثلاً لحياة النصرة التى أجتازها فى حروبه مع الشيطان ...

أعطانا مثالاً كيف نرد على الشياطين ونغلبهم. وبرهن لنا عملياً، كيف أن الشيطان ضعيف فى تجاربه وحروبه، ضعيف فى منطقه وحجته، ضعيف فى مناقشاته وفى إغراءاته، ضعيف أمام عبارة: أذهب يا شيطان. إن الشيطان يحارب، ولكن ليست له قدرة على الروحانيين.

الفصل الرابع عشر

حياتنا سلسلة

إختبارات

حياتنا سلسلة إختبارات[١٤]

كل إنسان منا يجتاز فى حياته مجموعة من الاختبارات، يتوقف عليها تقييم شخصيته، وتحديد مكانه فى الأبدية.

ليس المهم فى نوع الاختبار أو مدته، إنما فى عمقه ودلالته. يوحنا المعمدان مثلاً، كانت فترة اختباره قصيرة، ربما لم تتعد سنة أو أقل. ولكنه عبر فيها على نجاح هائل فى الخدمة، وتواضع وإنكار ذات، وشجاعة وجرأة، وثمر وفير. من أجل ذلك، اكتفى الله بتلك الفترة القصيرة من الاختبار، وشهد له بأنه أعظم من ولدته النساء. وأخذه إليه، وهو فى حوالى الثانية والثلاثين من عمره ..

كانت فترة اختبار قصيرة، ولكنها كانت كافية ..

نفس الوضع بالنسبة إلى فترة اختبار القديسين مكسيموس ودوماديوس، الذين انتقلا إلى الفردوس فى شبابهما، وكذلك القديس ميصائيل السائح الذى وصل إلى درجة السياحة وهو فى حوالى الخامسة عشر من عمره.

أيتساءل أحد ويقول: لماذا يارب تأخذ مثل هذه النفوس الطاهرة، فى تلك السن المبكرة؟! ويكون الجواب: لقد نجحوا فى اختبارهم، وكان كافياً عليهم ما بذلوه من جهاد ..

وبالمثل كان الاختبار لبعض الشهداء والمعترفين ..

لقد تم اختبار ايمانهم وثباتهم فيه، واحتمالهم من أجله .. ربما فى أيام أو

---

[١٤] هذه المقالة نشرت بمجلة الكرازة بتاريخ الجمعة الموافق ١٧ مارس ٢٠٠٦

شهور. وكان ذلك كافياً فنالوا إكليل الشهادة.

على أنه بصفة عامة، قد تؤخذ الحياة كلها كاختبار.

لأن البعض قد تمر عليه فترة ضعف أو فتور، لا تدل على طبيعة حياته كلها، وقد تعينه النعمة على تصحيح مسيرته. والله تبارك اسمه – لا يفاجئ الناس بالموت وهم فى حالة سقوط، بل يعطيهم فرصة للتوبة .. كما حدث مع القديس أوغسطينوس، والقديس موسى الأسود، والقديسة مريم القبطية، والقديسة بيلاجية. وهكذا يقول الكتاب "أنظروا إلى نهاية سيرتهم ." (عب١٣: ٧).

والاختبار الذى يجتازه الإنسان قد يكون سهلاً أو صعباً.

آدم وحواء اختبرا بوصية عدم الأكل من شجرة واحدة. أما أبونا إبراهيم فأخذ وصية أصعب: أن يخرج من أهله وعشيرته وبيت أبيه (تك١٢) إلى حيث لا يدرى. فخرج وهو لا يعلم إلى أين يذهب (عب١١: ٨). وهكذا نجح فى الاختبار. وباركه الله.

ثم دخل فى اختبار أصعب، وهو قول الرب "خذ ابنك وحيدك الذى تحبه، اسحق .. واصعده محرقة على أحد الجبال" (تك٢٢: ٢). ولم يتردد هذا القديس فى طاعة الأمر، فنال بركة أكثر، وأنقذ الرب اسحق.

أما أبوانا الأولان، إذ فشلا فى الاختبار، نالا عقوبة من الله، وطردهما من الجنة، وحكم عليهما بالموت، لولا أن أُنقذا بالفداء.

المهم إذن ليس هو نوع الاختبار، إنما موقف الإنسان منه.

سواء كان اختباراً واحداً أو عدة اختبارات.

يوسف الصديق اختبر بعداوة أخوته له وبيعهم له للإسماعيليين (تك٣٧: ٢٨). فلم يحقد عليهم، بل على العكس أحسن إليهم وقال لهم "أنتم قصدتم بى شراً. أما الله فقصد به خيراً (تك٥٠: ٢٠). وجرب بأن يكون عبداً فى بيت فوطيفار. فلم يتذمر واخلص كل الإخلاص، ونجح ونال الثقة حتى صار وكيلاً لفوطيفار فى كل بيته ..

اختبر يوسف أيضاً بإغراء سيدته له، فرفض ذلك ونجح فى الاختبار. واختبر أيضاً بإلقائه فى السجن ظلماً، فلم يحتج. وكانت النتيجة أن رئيس السجن ترك كل شئ فى يديه .. وكافأ الرب يوسف بأن كان ينجح فى كل ما تمتد إليه يده. وخرج من السجن ليكون الثانى فى المملكة، ويكون "أباً" لفرعون وسيداً لكل بيته، ومتسلطاً على كل أرض مصر (تك٤٥: ٨).

هناك أنواع كثيرة من الاختبارات ومصادرها. بعضها من حسد الشياطين.

مثلما حسد الشيطان أيوب الصديق، الذى "كان أعظم كل بنى المشرق" كما كان كاملاً مستقيماً. وبسماح من الله ضربه بالتجربة الأولى، فقد كل أبنائه وكل ثروته. ولكنه نجح فى هذا الاختبار وقال "الرب أعطى، والرب أخذ، فليكن اسم الرب مباركاً" (أى١: ٢١).

وكان الاختبار الثانى لأيوب أصعب من الأول، فضرب فى صحته، وفقد أيضاً كل شئ، حتى احترام أصحابه، واحترام زوجته .. وصبر أيوب، وباركه الله. وأعاد إليه كل شئ وأكثر، وبارك عمره فمات شيخاً وشبعان أياماً (تك٤٢: ١٠ – ١٧). وقال عنه القديس يعقوب الرسول "ها قد سمعتم بصبر أيوب، ورأيتم عاقبة الرب" (يع٥: ١١).

وقد يأتى الاختبار من مضايقات الناس، أو اضطهادتهم.

مثل عصر الاستشهاد الذى اختبرت به الكنيسة فى أيام الدولة الرومانية، وكيف صمدت الكنيسة ونجحت فى الاختبار، فجعلها الله تمتد إلى أقاصى الأرض، ومنحها المواهب وصنع المعجزات. وجعل الله ذلك الإضطهاد يختم بمرسوم ميلان للحرية الدينية الذى أصدره قسطنطين الملك سنة ٣١٣م.

أما سوء المعاملة فهو اختبار آخر،

قد يحدث فى محيط العائلة. أو فى جو العمل بين الرؤساء والمرؤوسين، أو حتى فى جو المجتمع عموماً. ويُعرف به معدن الإنسان، ومدى احتماله أو هياجه ...

والاختبار عموماً: إن نجح فيه الإنسان ينال الأكاليل.

وفى سفر الرؤيا (رؤ٢: ٣) فى رسائل الرب إلى الكنائس السبع، نرى أمثلة كثيرة من هذه الأكاليل التى أعدها الله للغالبين. فكل من يغلب، أى من ينجح فى اختباره، له مكافأت عند الله فى الحياة الأبدية،

وربما فى الحياة الأرضية أيضاً، يقول القديس بولس الرسول "..وأخيراً وضع لى إكليل البر، الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل. وليس لى فقط، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً" (٢تى٤: ٨).

الاختبار ذكره الرب فى مثل البيتين: الذين كان أحدهما مبنياً على الصخر، والآخر مبنياً على الرمل (مت٧: ٢٤، ٢٧).

الاختبار جاء إلى كل من النوعين (الجيد والردئ). قيل فى ذلك الاختبار "نزل المطر، وجاءت الانهار، وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت". فالبيت

المبنى على الصخر لم يسقط. أما المبنى على الرمل، فسقط وكان سقوطه عظيماً.

إذن لابد من أن يستعد الإنسان لملاقاة الاختبار الذى سيتعرض له: يستعد بالإيمان القوى، وبالقلب النقى، وبشركة الروح القدس ... وبهذا لا يتزعزع، بل يظل صامداً. وبالأكثر ينمو فى النعمة.

إن اختبار كل شخص، هو أمر نافع ولغيره.

ففى الاختبار: كما يختبر هو فى إرادته وعمله، فهو أيضاً يختبر عمل الله معه، وتدخل النعمة فى حياته، ويزداد خبرة بالحياة الروحية وبحروب الشياطين، وبالتجارب والانتصار عليها.

إن القديس الأنبا أنطونيوس - بوحدته فى البرية، وبكل ما قد تعرض من تجارب - نال خبرة وقوة، بل نال سلطاناً على الشياطين. وهكذا بعد أن عاش تلميذه بولس البسيط فترة معه، أرشده بأن يعيش فى الوحدة لكى يختبر حروب الشياطين...

ومن كل هذا، صارت اختبارات الآباء وخبراتهم دروساً لنا جميعاً استفدنا بها. ونتعمق بها فى المعرفة كلما قرأنا سير القديسين. بل إننا نستفيد أيضاً من قصص سقوط الآخرين كذلك، لنعرف أسباب الفشل، ونتائجه. لكى نحترس من تلك الأسباب ونستعد لمواجهتها.

إن الاختبار قد يمس أحياناً نقطة الضعف فى الإنسان.

مثال ذلك قصة الشاب الغنى، الذى كان قد حفظ الوصايا منذ حداثته. ولكن كانت له نقطة ضعف وهى محبته للمال. وهكذا عندما اختبره الرب

بقوله "إن أردت أن تكون كاملاً، اذهب وبع كل مالك وأعطه للفقراء، وتعال اتبعنى" (مت١٩: ٢١). قال عنه الكتاب "فمضى حزيناً". وفشل فى الاختبار "لأنه كان ذا أموال كثيرة".

إذن ابحث عن نقطة الضعف التى فيك، واعمل على علاجها، لئلا يأتيك الاختبار من هذه النقطة بالذات.

وقد يختبر الإنسان بالأمراض، أو بالضيقات.

ليظهر من هذا الاختبار: هل هو يتذمر، أو يفقد إيمانه بمراحم الله؟ أم هو قابل ذلك بهدوء وبشاشة وصلاة؟ أم هو فى حالة المرض يستعد لأبديته؟ أو هو فى حالة الضيقات يقول مع بولس الرسول "لذلك أسر بالضيقات" أو يقول معه "كحزانى ونحن دائماً فرحون" (٢كو٦: ١٠). إنه اختبار.

وقد يختبر إنسان بعدم إستجابة صلاته، أو بتأخر استجابتها.

بولس الرسول اختبر بعدم استجابة صلاته، عندما طلب أن ترفع عنه الضربة التى أصابته فى الجسد "لئلا يرتفع من فرط الإعلانات". بل استبقى الله تلك الضربة، وقال له "تكفيك نعمتى" (٢كو١٢: ٨، ٩). ونجح القديس بولس فى الاختبار، وشكر الله على نعمته (١كو١٥: ١٠).

أما عن تأخر الله فى الإستجابة، فمثلما تأخر الله فى منح إبراهيم إبناً. وكانت النتيجة أنه لجأ إلى الطرق البشرية، فأخذ هاجر لينجب منها ...

وقد يكون الاختبار بالسطة أو المال.

فهناك بعض الناس إن إرتفع قدرهم بسلطة نالوها، ترتفع قلوبهم من الداخل، وينظرون إلى غيرهم من فوق، وتتغير معاملتهم لهم!! ولهذا قال

القديس أنطونيوس "إن احتمال الكرامة أصعب من إحتمال الإهانة".. والمال أو الغنى مثل الكرامة أيضاً. قال الشاعر:

لما صديقى صار من أهل الغنى .:. أيقنت أنى قد فقدت صديقى.

المواهب هى اختبار آخر: هل يرتفع بها القلب أم يحتفظ بتواضعه؟

مثال ذلك الذين يفتخرون بموهبة الألسنة (إن كانت حقاً)، ويظنوها علامة على الملء!! أو قول الكتاب عن هاجر، إنها " لما صار لها ولد، صغرت مولاتها فى عينيها" (تك١٦: ٤).

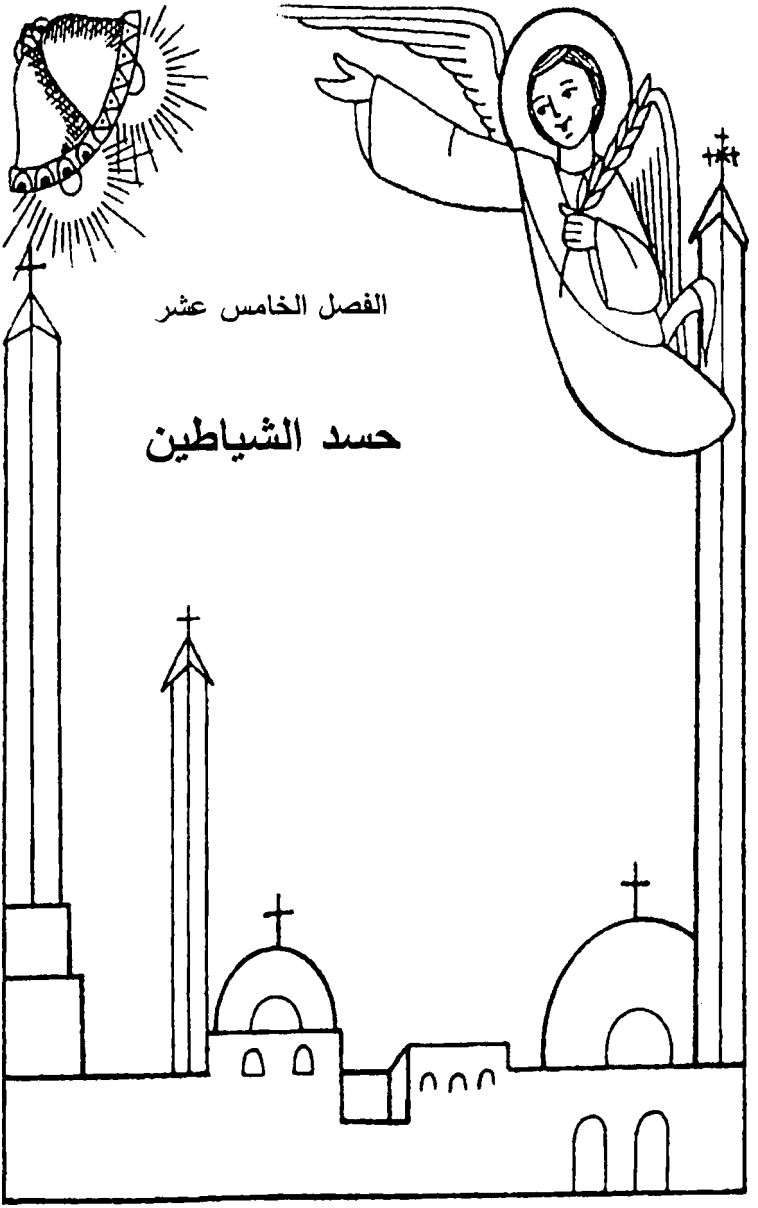

الفصل الخامس عشر

حسد الشياطين

حسد الشياطين[١٥]

حسده للإنسان

الشيطان بعد سقوطه، حسد الإنسان: حسده لأنه خُلق على صورة الله ومثاله. ولأن الله بارك هذا الإنسان، ومنحه سلطاناً على طيور السماء وسمك البحر وكل ما يدب على الأرض. (تك١: ٢٦- ٢٨).

ولما حسده، أغراه وأسقطه فى الخطية وفى حكم الموت. وهكذا نقول للرب فى القداس الإلهى: **"والموت الذى دخل إلى العالم بحسد إبليس، هدمته.."**.

بحسد إبليس سقط الإنسان فى الخطية. ويقول الرسول "كأنما بإنسان واحد، دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت. وهكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس .." (رو٥: ١٢) ...

إلى هذا الحد، وصل التدمير الهائل بسبب حسد الشيطان.

واستمر الشيطان يحسد الإنسان على مدى العصور، فيحاول أن يمنعه عن ملكوت الله. فهو إذن الحاسد الأول. وهو أيضاً الذى يغرس الحسد فى قلوب الناس نحو بعضهم البعض، حتى يدمر بعضهم بعضاً.

ونحن نقول للرب فى ختام صلاة الشكر "كل حسد وكل تجربة، وكل فعل الشيطان، ومؤامرة الناس الأشرار، وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين، انزعها عنا وعن سائر شعبك..".

---

[١٥] القيت هذه المحاضرة مساء الأربعاء الموافق ٢٦ فبراير ١٩٩٧.

نطلب من الرب أن ينجينا من حسد الشيطان وتجاربهم وكل أعمالهم، هم وأنصارهم من الناس الأشرار ..

حسـده لأيـوب

وقد سجل الكتاب المقدس حسد الشيطان لأيوب الصديق. حسده على غناه، وعلى أسرته الكبيرة، وعلى مديح الرب له وقوله عنه إنه "ليس مثله فى الأرض. رجل كامل ومستقيم. يتقى الله ويحيد عن الشر" (أى١: ٨). فمن حسد الشيطان لأيوب. عمل على إيقاعه فى تجربة تفقده غناه وأولاده ومركزه الذى قيل بسببه إنه "أعظم كل بنى المشرق" (أى١: ٣). وهكذا ضرب ضربته فأفقده كل شئ.

إلى هذه الدرجة من القسوة. بلغ حسد الشيطان.

ولما وجده لا يزال فى كماله، حسده على هذا الكمال. وطلب أن يُفسح له المجال فى ضربة أقسى وأعنف، فى صحته وعافيته. " فضربه بقرح ردئ من باطن قدمه إلى هامته. فأخذ أيوب لنفسه شقفة ليحتك بها وهو جالس وسط الرماد" (أى٢: ٧، ٨).

ولولا أن الله وضع حداً للشيطان فى ضرب أيوب قائلاً له "لكن احفظ نفسه" (أى٢: ٦). لولا ذلك لكانت ضرباته أقسى بكثير..

كما يتضح هدفه الشرير من تجربة أيوب فى قوله للرب من جهة التجربة الأولى "فإنه فى وجهك يجدف عليك" (أى١: ١١) وفى التجربة الثانية قال أيضاً "فإنه فى وجهك يجدف عليك" (أى١: ٥).

إذن كان هدف الشيطان هلاك أيوب، بأن يوقعه فى التجديف! أما وسيلة الشيطان فى إشباع حسده، فقدأخذت مجالين:

١ - أن يشتكى ظلماً على إنسان بار مستقيم، ويتهمه بالكذب حتى أمام الله..!

٢- أن يطلب زوال النعمة عنه بغير سبب.

الحاسد العادى يتمنى زوال النعمة عن المحسود، وتحويلها إليه هو.

أما الشيطان فيريد زوال هذه النعمة عمن يحسده، حتى لو كان من المستحيل أن تتحول إليه! مجرد الإيذاء والتشفى، والفرح بسقطة الآخرين وبضررهم !

إنه لم يستفد شخصياً من ضياع ممتلكات أيوب، ولا من موت أولاده، ولا من تلف صحته، فلن يتحول شىء من هذا إليه. كما أن أيوب لو سقط وفقد رضى الله عليه، فلن يتحول هذا الرضى إلى الشيطان بأى حال!!.. إنما يكفيه - فى حسده - أن يفرح بإسقاطه!!

الشيطان - فى حسده - لايحب أن يرى أحداً فى راحة أو فى خير أو فى حياة روحية سليمة.

يحسد البار على بره، ويسعى لإبعاده عن الحياة مع الله. ويجاهد لكى يفقده أبديته! ويحسد كل من يحيا فى سلام، لكى يفقده سلامه، ويملأ قلبه بالقلق. ويحول علاقته مع الناس إلى حرب وشقاق، وشك وعداوة.

يعمل هذا مع الأفراد والجماعات ومع الكنيسة أيضاً.

حسده للكنيسة

لما انتشر الإيمان فى العصر الرسولى "وكان الرب فى كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون" (أع٢: ٤٧) .. أثار الشيطان على الكنيسة مؤامرات اليهود، واضطهادات الدولة الرومانية الحاكمة. وبدأ عصر عنيف من الاستشهاد المرعب ...

وكان هدف الشيطان من حسده، أن يبعد الناس عن الإيمان، ويرغمهم على عبادة الأصنام، أو على الأقل يذيقهم صنوف العذاب، فى مقابل إيمانهم الذى حرم نفسه منه.

ولما أصدر قسطنطين مرسوم ميلان بالحرية الدينية سنة ٣١٣م، حسدهم الشيطان عن هذه الحرية.

إذا كيف يعيشون فى سلام، ويمارسون عبادتهم لله فى راحة؟! وكيف ينتشر الإيمان دون تدخل من الشيطان لتحطيمه! بل كيف يرجع إلى الكنيسة الذين جحدوا الإيمان خوفاً أثناء الإضطهاد؟!

وهكذا بحسد الشيطان بدأ ينشر الهرطقات فى عقول الهراطقة. وبسرعة بدأت الأريوسية فى عنف تغزو عقول كثيرين حتى من الإكليروس. **وقال القديس أثانسيوس الرسولى فى ذلك "إن عدونا الحقيقى ليس هو أريوس وأتباعه، إنما هو الشيطان".** وأثار الشيطان حرباً ضد القديس أثناسيوس، فنفى أربع مرات، ووُجهت إليه إتهامات شريرة وكاذبة.

وبدأت سلسلة هرطقات أخرى لإقلاق الكنيسة. وكان من بين الهراطقة أبوليناريوس، وسابليوس، ومقدونيوس، وبيلاجيوس، ونسطور، وأوطاخى..

وتحول ميدان الفكر اللاهوتى إلى صراعات ..

وحتى علماء اللاهوت، لم يسلم بعضهم من حروب الشيطان. وإذا بالعلامة ترتليانوس يقع فى هرطقة مانى، ويتزعم المونتانيين.

وإذا بالعلامة أوريجانوس ينحرف فى التفكير الرمزى للكتاب، وينادى بعودة التجسد Reincarnation. وقيل إنه نادى بخلاص الشيطان، وبكثير من البدع مما أدى إلى حرمانه. وأصبح مجال نزاع تصارع فيه قديسون مع قديسين.

ولما ظهرت الرهبنة، لم يحتمل الشيطان روحياتها، فحسدها وأثار عليها حروباً ...

حروباً روحية لإسقاط هؤلاء الملائكة الأرضيين فى الخطية. وحروباً أخرى من التخويف. وحروباً ثالثة هدفها التشكيك. بل حاربهم أيضاً بالرؤى الكاذبة .. كل ذلك لكى يضلهم، أو يبعدهم عن طريقهم الملائكى وتفرغهم الكامل لله، بكافة السبل.

فالذى ينجح فى حياة التأمل، يحاربه بشهوة الخدمة. وإن نزل إلى الخدمة ونجح فيها، يحاربه بالعوة إلى الوحدة، لكى يظل مقلقلاً بين الطريقين

ما أكثر الذين أتاهم الشيطان من السواح، مثل القديس موسى السائح، الذى لبساطته أضله وأبعده عن سياحته، لولا أن افتقده الله فى آخر حياته وإلا كان قد هلك ..!

ومثل ما فعله القديس غليون الذى أخرجه من وحدته بخدعة بزعم ضمه إلى السواح مع شياطين ظهروا فى هيئة سواح لولا تدخل الله وأنقذه. وما

أعمق قول القديس بولس الرسول "لا عجب أن الشيطان يغير شكله إلى شبه ملاك نور. فليس عظيماً إن كان خدامه أيضاً يغيرون شكلهم كخدام للبر" (٢كو ١١: ١٤، ١٥).

وهكذا ظهر لبعض الرهبان والمتوحدين بشكل ملائكة ليخدعهم .. كل ذلك بسبب حسده لهم، فأراد أن يضلهم.

ومن حسد الشيطان، جعل الهرطقات تقود الكنيسة إلى الإنقسام.

وظهر الإنقسام الأول فى مجمع خلقدونية سنة ٤٥١. ثم الإنقسام الثانى الكبير فى القرن الحادى عشر بين الكاثوليك والروم الأرثوذكس. ثم إنقسام أكبر فى القرنين الخامس عشر بظهور المذاهب البروتستانتية التى تعددت وانتشرت.

ثم ظهر غزو آخر من جماعات شهود يهوه، والسبتيين الأدفنتست، ومن المورمون فى أمريكا، ومن ميدان العلوم والفلسفة، وما يسمونه New Age Relgions (أديان العصر الجديد). ومن بين أساتذة اللاهوت ظهر النقد الكتابى Biblical Chriticism.

وتشتت الأفكار إلى حد بعيد، وسادت العقلانية التى تود أخضاع الوحى للفكر البشرى، فيقبل منه ما يقبله، ويرفض ما لا يتفق مع فهمه الخاص..

وقبل أن يحسد الشيطان الكنيسة، حسد السيد المسيح نفسه.

حسده للمسيح نفسه

لما رأى الملائكة يظهرون فى ميلاد السيد المسيح وينشدون أناشيدهم

(لو٢: ٩- ١٤)، تكلم بالحسد والخوف فى قلب هيرودس لكى يقتله. ولضمان ذلك يقتل كل أطفال بيت لحم (مت٢: ١٦).

هنا كان حسد الشيطان ممزوجاً بالخوف وبالشك.

لاشك أن هذا المجد الذى أحاط بالسيد المسيح أثار حسد الشيطان. وفى نفس الوقت كان يشك فى أنه ابن الله. لأن بشارة الملائكة وظهورهم أحاطه اتضاع الميلاد فى مزود. فإن كان المولود حقاً هو ابن الله، يكون حسد الشيطان محاط بالخوف.

ثم كان الظهور الإلهى فى عماد الرب. إنه مجد يثير الحسد، ولكن اتضاع السيد فى تقدمه لمعمودية التوبة من يد عبده يوحنا، أثار الشك. فإن كان هو المخلص فعلاً، فإن هذا يثير الخوف. فوجد السيد جائعاً على الجبل، فثار شكه أيضاً. وهنا قدم له ثلاث تجارب، بغية أن يغربه!! ويضمه إلى الساجدين له (لو٤: ٧).

حسده للأفراد

لم يحتمل الشيطان ما كان لداود من جمال وقوة، وموهبة فى الشعر والموسيقى، وما ناله أيضاً من المسحة المقدسة كملك (١صم١٦: ١٣).

فحسده. وأثار عليه حسد شاول الملك، وبخاصة بعد انتصار داود على جليات الجبار (١صم١٧: ١٥)، وهتاف النساء لداود مفضلات أياه على شاول (١صم١٨: ١٧). فلما رأى شاول أن داود ناجح فى كل شئ "فزع منه" (١صم١٧: ١٥). وحسده. دخل فى سلسلة طويلة من الأعتداء عليه.

وليس هذا غريباً، فإن شاول الملك كان قد بغته الشيطان الحاسد الأول (١صم١٦: ١٤).

فقاده الشيطان فى كل مراحل الحسد ضد داود. والحسد ولّد الخوف من داود لئلا يأخذ منه المملكة (١صمم٢٠: ٣٠، ٣١). وتوّلد عن ذلك كله سعى شاول وراء داود من برية إلى أخرى، محاولاً قتله، ناكصاً كل وعوده له ...

إن تجارب كثيرة تأتى من حسد الشيطان وأتباعه.

إذ يهيئ الشيطان كثيراً من المؤامرات، ويثير الناس الأشرار ضد من يحسده.. فيجعلهم يحسدونه بنفس السبب الذى يحسده به الشيطان. وكان هذا مع السيد المسيح نفسه. إذ رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب كانوا قد أسلموه إلى بيلاطس حسداً منهم له (مت٢٧: ١٨).

والشيطان يحسد كل إنسان بار. لذلك يقول يشوع بن سيراخ: "يا ابنى إن تقدمت لخدمة ربك، فهيئ نفسك لجميع التجارب".

ونحن نذكر هذه العبارة فى الصلاة على الراهب الجديد. كما نتلوها فى صلاة الساعة الثالثة من يوم الثلاثاء من البصخة المقدسة، متذكرين التجارب التى يثيرها الشيطان ضد السيد المسيح له المجد.

كذلك نذكر عبارة قالها الآباء عن عمق العمل الروحى وهى: الذى يبدأ فى الصلاة الطاهرة، فليستعد كل ما يأتى عليه.

ذلك لأن الشيطان لا يحتمل هذه الصلاة الطاهرة، فيثير الجو على صاحبها ليبعده عن الصلاة .. ومن هنا كانت تجاربه عنيفة ضد الآباء النساك والمتوحدين ...

لدرجة أن الشيطان فى إحدى المرات أتى إلى راهب متوحد فى مغارة فى جبل عال يصلى ليلاً ونهاراً. وقال له استعد - فإن الله سيرسل لك مركبة نورانية لتحملك مثل إيليا النبى! وكان الشيطان مزمعاً أن يصور له من الخيال مركبة تحمله. فإن وضع قدمه فيها، سقط من علو الجبل ومات، فيستريح الشيطان من صلواته. ولكن هذا المتوحد استشار شيخاً مختبراً، فكشف له الشيخ خدعة الشيطان فنجا منها ...

إن الشياطين يحسدون كل من يرونه ناجحاً. يحسدون العابد إذا نجح فى عبادته. ويحسدون الخادم إذا نجح فى خدمته.

مثال ذلك الحسد الذى تعرض له يوسف الصديق. حسده الشيطان على المجد الذى وعده به الله فى الأحلام التى رآها (تك٣٧). وآثار الحسد فى قلوب أخوته ففكروا فى قتله. ثم باعوه كعبد.

وحسد الشيطان أيضاً على ثقة فوطيفار به، وترك كل شئ فى يديه، إذا كان كل ما يعمله ينجحه الرب بيده، كان الرب معه (تك٣٩: ٣، ٤).. فأثار عليه تجربة من سيدته التى اشتهته، وانتهى به الأمر إلى السجن (تك٣٩: ١٩، ١٢). فآثار عليه تجربة من سيدته التى اشتهته، وانتهى به الأمر إلى السجن، (تك٣٩: ١١٩، ٢٠).

وفى التاريخ نقرأ حسد الشيطان لأولوجيوس الحجار. ذلك الرجل البار الذى كان فى كل يوم يحصل من عمله على دينار، فينفقه على المساكين. فلم يحتمل الشيطان بر هذا الرجل وقناعته. فأظهر له كنزاً أخذه وسافر إلى القسطنطينية، وعاش فى ترف وترك عمله الصالح، لولا أن الرب أنقذه بصلوات القديس الأنبا دانيال ...

إحترس من حسد الشياطين

إن الشيطان إذا رآك قد فكرت أن تبدأ بداية طيبة، يحاول حسده أن يعكر عليك الجو ...

فإن بدأت الصوم بطريقة روحانية، وأردت أن تدخل فى تداريب روحية، يحاول أن يثير عليك مشكلة لتفشل فى كل تداريب تبدأ به، لكى تيأس وتقول "لا فائدة فى" ! وإن بدأت بقداس فى أول العام، ليكون بداية جديدة مقدسة فى عام جديد، لا مانع أن تخرج من القداس، فتجد من يعكر دمك ويفقدك هدوءك، أو مشكلة تضيع كل ما أستفدته من القداس وكل ما عزمت عليه من بداية طيبة.

إنْ حدث هذا فلا تيأس. واعرف أنه حسد الشيطان. وأبدأ بداية أخرى طيبة.

ضع أمامك أنك ستجد مشكلة فى كل عمل روحى تبدأ به. وكن مستعداً لذلك. ولا تتضايق ولا تيأس، ولا ترجع إلى الوراء. بل قل: إنه بلا شك حسد الشيطان " نحن لا نجهل أفكاره" (٢كو٢: ١١). ارشم نفسك بعلامة الصليب، وقل "اذهب يا شيطان" (مت٤: ١٠).

لقد أمرنا الرب بعمل الخير فى الخفاء. فنخفيه عن الناس، حتى لا ننال عنه مديحاً من الناس فنستوفى خيراتنا على الأرض (مت٦: ١- ٦). ولكن ليس هذا فقط ..

بل الخير الذى نعمله، نخفيه عن أنفسنا وعن الشيطان.

نخفيه عن أنفسنا كما قال الرب "لا تعرف شمالك ما تفعله يمينك" (مت٦:

٣). وأيضاً لا تعاود التفكير فى ما فعلته من خير، حتى لا يكون فى ذاكرتك بل تنساه.

وأيضاً ما تفعله من خير، تخفيه بقدر طاقتك عن الشيطان، إتقاء لحسد الشياطين.

ولا تفتخر إطلاقاً بنفسك. لئلا يسمع الناس فيمدحونك، ويسمع الشياطين فيحسدونك ويجربوك. أو يسمع الشيطان فيسبب لك حسد الناس، وما يتبع ذلك من مؤامراتهم عليك.

وحينما تقول فى صلاة الشكر "كل حسد وتجربة .. ابعدها عنا.." لا تضع فى فكرك فقط ما يصدر عن الناس من حسد. وإنما أيضاً ضع فى ذهنك بالأكثر حسد الشياطين. لأن حسد الشيطان هو أيضاً مصدر لحسد الناس...

كذلك لا يفتخر الخدام، إن نجحت خدمتهم. لئلا يتعرضوا لحسد الشيطان، فيثير عليهم الشقاقات والإنشقاقات فى محيط الخدمة.

وليتنا نصلى جميعاً أن ينجينا الله من حسد الشيطان وكل أعوانه.

الفصل السادس عشر

اللقاء مع الله

اللقاء مع الله [١٦]

كثيرون قابلوا الرب، ولم يستفيدوا ... الرب من محبته يتقابل مع الكل. يشرق شمسه على الأبرار والأشرار، ويمطر على الصالحين والطالحين.

تقابل الرب مع قايين، أول قاتل على الأرض، ولم يستفد قايين من هذا اللقاء. وتقابل الرب مع آدم وحواء بعد سقطتهما، وأعطاهما فرصة للإعتراف والتوبة، ولم يعترفا...

وزار بيت سمعان الفريسى. وكان الفريسيون مشهورين بالكبرياء والعجرفة. فاستقبله سمعان فى بيته، دون أن يستقبله فى قلبه. وفى أثناء الزيارة ظل يرقبه باحثاً له عن غلطة ...

تقابل المسيح مع بيلاطس، ومع هيرودس، ومع حنان وقيافا ...أعطى كل هؤلاء فرصة أن يروه، ولكنهم لم يستفيدوا ... بيلاطس تأثر، وأراد أن يطلقه، وغلبه الجبن. وهيرودس استهزأ به، ورؤساء الكهنة أعماهم الحسد، ووقف دون أستفادتهم.

الشاب الغنى: التقى بالمسيح، ومضى حزيناً، ياللعجب ...! كثيرون تقابلوا مع المسيح، ولم يستفيدوا. كانت هناك عوائق فى داخلهم، أو حولهم، تمنع هذه الاستفادة.

الذى يتقابل مع الرب ويستفيد، هو القلب المستعد، القلب المتضع والمحب، الذى يريد أن ينتفع ...

---

[١٦] القيت هذه المحاضرة مساء الجمعة الموافق ١٢ مارس ١٩٧٦.

ما معنى اللقاء مع الرب ...

كثيرون يظنون أنهم تقابلوا مع الرب، وهم لم يتقابلوا ... **اننا نقصد باللقاء، اللقاء الحقيقى، الذى يتلاقى فيه قلب مع قلب** هناك أناس يتقابلون مع المسيح بالجسد، وقلوبهم بعيدة عنه. عن هؤلاء قال الرب موبخاً.. "**هذا الشعب يعبدنى بشفتيه. أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً**". ربما يقف إنسان ربع ساعة أو نصف ساعة مصلياً، دون أن يتقابل مع الرب. إنه يردد ألفاظاً لا غير.

الصلاة صلة مع الله.

أتراك تشعر بهذه الصلة فى صلاتك؟

هل تشعر أثناء الصلاة أنك فى حضرة الله، وأنك رأيته، وتمتعت به، وتكلمت معه؟

لذلك فالذى يعيش فى شكلية الصلاة، وفى مجرد طقسية الصلاة دون الدخول إلى روحها، هؤلاء لم يتقابلوا مع الله. لهؤلاء قال الرب فى سفر أشعياء "حين تبسطون أيديكم، أستر وجهى عنكم. وإن أكثرتم الصلاة، لا أسمع. أيديكم مملوءة دماً".(أش ١: ١٥).

القلب هو الوسيلة الوحيدة، التى تلتقى مع الله.

كثيرون يعبدون الله خارج نفوسهم وخارج قلوبهم. ويصلون ويصومون، ولا يلتقون مع الله. يخرجون من كل ذلك كما هم، دون تغير، دون تقدم فى الروح، لأنهم لم يلتقوا بالرب الذى يعبدونه. الله ما يزال يطلب "يا ابنى، اعطنى قلبك" ...

الذى يتقابل مع الله، هو الذى يدخل الى قلب الله، ويدخل الله الى قلبه، ويصير مع الله واحداً فى الحب، وفى المشيئة ...

إن كنت لا تتقابل مع الله ههنا على الأرض، فلن تتقابل معه هناك، فى السماء. هنا مذاقة الملكوت...

هنا تبتدئ العلاقة مع الله، تبتدئ العشرة والصلة والصداقة ... هنا نأخذ عربون الملكوت ومذاقته. هنا لا بد أن تتمتع بملكوت الله فى داخلك، كيما يمكنك أن تتمتع بملكوته فى السماء.

إذن، فملكوت الله (داخلكم)، لابد أن يسبق ملكوت السموات.

إن اللقاء مع الله، يحتاج إلى إنسان كالمعمدان، يهيىء للرب شعباً مستعداً. هذا الإستعداد للقاء، هو الذى قال عنه الكتاب " لباس العرس". لابد أن تلبسه، قبل أن ندخل العرس للقاء المسيح.

القلب المستعد، هو قلب يشتاق إلى الله، والى الحياة معه.

أقول لكم هذا الكلام الآن، لئلا تظنوا أن الصوم الكبير مجرد تغيير أكل بأكل ... فترة الصوم هى لقاء مع الله، فترة تقول فيه لله: أريد أن أتقابل معك، أريد أن أسمع منك عبارة "ينبغى أن أكون اليوم فى بيتك، نجلس على مائدة واحدة، ونشرمن نتاج هذا الكرمة".

لقاء معرفة

اللقاء مع الله، لقاء معرفة. ومعرفة الله ليست هينة. بولس الرسول يقول "لأعرفه وقوة قيامته، وشركة آلامه، متشبهاً بموته" .. ولكى أعرف المسيح

"خسرت كل الأشياء، وأنا أحسبها نفاية" "من أجل فضل معرفة المسيح ربى" (فى٣). لكى أعرفه "وأوجد فيه" ...

وهذه المعرفة ليست مجرد معرفة عقلية "بهذا نعرف أننا قد عرفناه، إن حفظنا وصاياه" (١يو٢: ٣). إن الذين عرفوا الله، أحبوه وتركوا كل شئ لأجله ...

أوغسطينوس تاه ثلاثين سنة إلى أن عرف الله. ولما عرفه أحبه، ووجده جمالاً لا ينطق به، وفرحاً لا يعبر عنه. فذاق ما أطيب الرب. وقال له فى انسحاق " تأخرت كثيراً فى حبك ..."

"ذوقوا وانظروا، ما اطيب الرب".

إن ذقته، ستشعر بلذة الحياة معه، وتقول له "جيد يارب أن نكون ههنا"...

كانت مريم أخت مرثا تجلس عند قدمى المسيح، تتأمله لتعرفه.

الذين عرفوا الرب حق المعرفة جروا وراءه كل الطريق، ولم يحبوا أن يعرفوا شيئاً آخر سواه ... وأنت، هل تظن أنك تعرف الله، لمجرد ترديدك عبارة "بالحقيقة نؤمن بالله واحد، الله الآب ضابط الكل، خالق السماء والأرض ...".

كلا، ان المعرفة العقلية وحدها لا تكفى. فالشياطين يعرفون "مؤمنون ويقشعرون" (يع٢). انما المعرفة الحقيقية، هى معرفة عشرة ومذاقة، معرفة حب وليست معرفة كتب ...

كم من أناس قرأوا الكتاب، ولم يعرفوا الله. الشيطان نفسه كان يجادل

بآيات من الكتاب. المعرفة الحقيقية هى معرفة اختبارية، قال فيها يوحنا الحبيب "الذى رأيناه بعيوننا، الذى شاهدناه ولمسته أيدينا".(١يو ١: ١).

أيوب الصديق لما ألتقى بالرب، أدرك أن كل معرفته السابقة بالله كانت جهالة. فقال " قد نطقت بما لم أفهم، بعجائب فوقى لم أعرفها" (أى٤٢). وقال فى الفرق بين المعرفتين:

"بسمع الأذن سمعتك عنك، والآن رأتك عينى" (أى٤٢: ٥)

فهل أنت تعرف الله بسمع الأذن، أم قد رأته عيناك؟ هل قالوا لك فى العظات عن الله، وهل سمعت عنه فى الكنيسة، أم أختبرته بنفسك، وذقته، وألتقيت به؟

هل عرفته شخصياً، أم اخذت معرفته عن آخرين؟

إنك تلتقى مع الكتب، ومع الأبنية، ومع الصور، ومع العلوم كلها تحدثك عن الله الذى ينبغى أن تلتقى به، فهل التقيت؟ أم أنت تقول مع عذراء النشيد "لماذا أكون كمقنعة عند قطعان أصحابك" (نش ١: ٧).

إجر وراء الله، وقل له "اخبرنى أين ترعى؟ أين تربض عند الظهيرة؟" "تحت ظلك أشتهيت أن أجلس".

لقـاء حـب

إن امتلك الله عواطفك، سيكون لقاؤك به لقاء حب. ستقول "أحلفكن يا بنات أورشليم ... إن وجدتن حبيبى، أن تخبرنه بأنى مريضة حباً". إن بعدت عن الله لحظة، ستشعر أنك مريض حباً ...

إن كنت لم تحب الله، فأنت لم تلتق به بعد ...

زكا العشار كان يسمع عن الرب بسمع الأذن. فاشتهى أن يلقاه. رآه من بعيد، وسط الزحام. وظل الرب يقترب منه، حتى ناداه باسمه، ودخل بيته، وصار خلاص لأهل ذلك البيت ...

أقترب إلى الله خطوة وقل له: لا أريد أن تكون تداريبى فى هذا الصوم: حفظ فصول من الكتاب، إوإزادة عدد المطانيات، والتشديد فى النسك الجسدى وفترة الانقطاع ..

إنما أريد فى هذا الصوم أن التقى بك، أن أعاشرك وتراك عيناى. أريد كما دخلت عقلى أن تدخل قلبى أيضاً.

أريد أن أعرفك، وأختبرك وأحبك: والتصق بك. أريد أن تدخل قلبى، وأدخل إلى قلبك.

أريد أن تقول لى "أسرع وأنزل". اترك الجميزة، أترك الزحام، وأفتح لى بيتك، لتتعشى معى، وأنا معك.

هكذا اللقاء مع الرب، لقاء معرفة حب. وماذا أيضاً؟

لقاء متعة

هناك إنسان يصلى، ولا يشعر بمتعة، لأنه لا يلتقى بالله فى صلاته. علامة المتعة واللقاء فى الصلاة، أنك لا تشاء أن تتركها. تنزع حياتك منك، أسهل من أن تفصل عن متعة الحديث مع الله ..!

هناك أشخاص يلتقون مع عبارات الصلاة، ومفهومها، وعقلانيتها، ولكنهم لا يلتقون مع الله.

أما الذين التقوا به، فقد قال عنهم ماراسحق: **من حلاوة اللفظة فى أفواهم وقت الصلاة، لا يشاءون أن يتركوها لينشغلوا بلفظة آخرى".**

أسم الله محبوب عند هؤلاء، كما غنى داود النبى "محبوب هو اسمك يارب، فهو طول النهار تلاوتى"، وكما نقول فى التسبحة "اسمك حلو ومبارك، فى أفواه قديسيك".

من يصلى هكذا، لا يشعر بنفسه: كم من الوقت قد مضى عليه. ولا يدرى أهو فى الجسد أم خارج الجسد، ليس يدرى ...

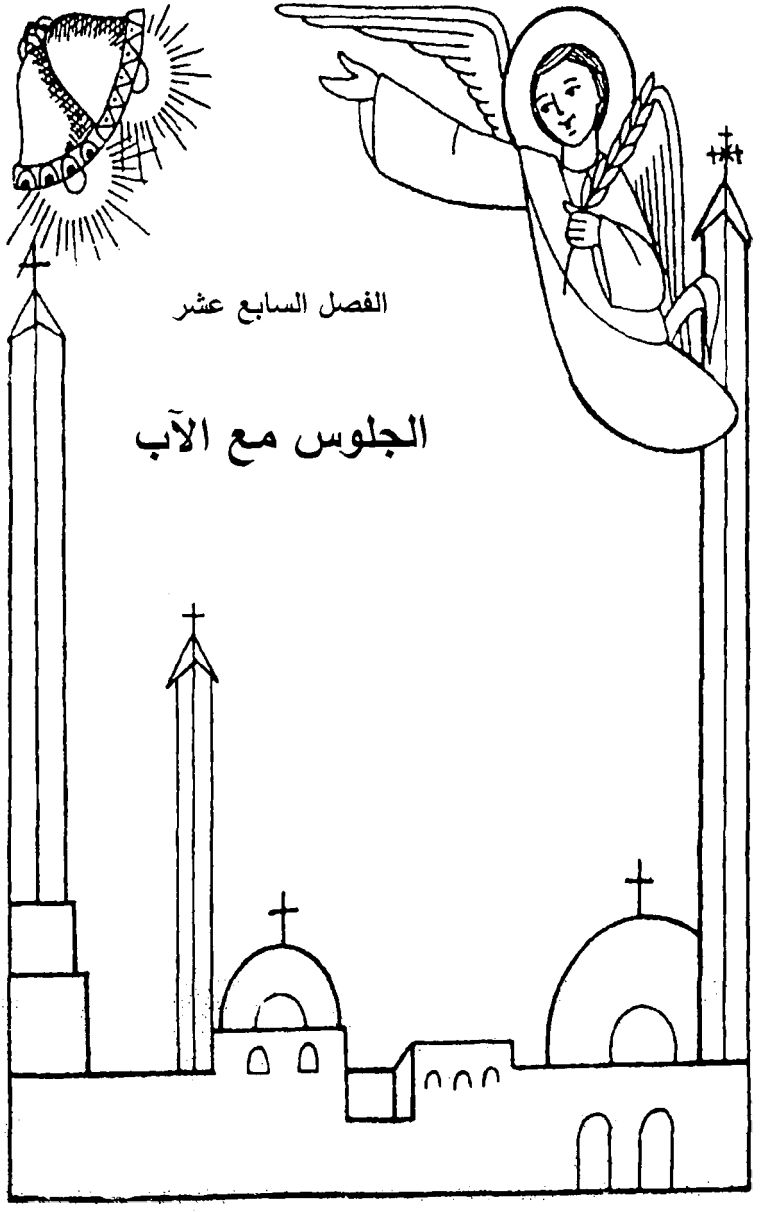

الفصل السابع عشر

الجلوس مع الآب

الجلوس مع الآب[١٧]

فترة الأربعين المقدسة، بالنسبة إلى السيد المسيح، لم تكن فقط فترة صوم، وإنما بالأكثر كانت جلسة مع الآب لذلك سنحدثكم عن الجلوس مع الآب.

جلســـة مـــع الآب

قضى السيد المسيح الأربعين يوماً فى جلسة مع الآب، على الرغم من أنه فى الآب، والآب فيه، منذ الأزل، وعلى الرغم من أنه هو والآب واحد (يو ١٠: ٣٠). لقد قضى الثلاثين عاماً الأولى من فترة تجسده، مع الآب. وقضى هذه الأربعين يوماً مع الآب.

ومع ذلك نجد جلسات المسيح مع الآب بارزة فى الكتاب. توضحها فترات الخلوة التى كان يقضيها، ويوضحها مركز الجبال فى حياة الرب، وبخاصة جبل الزيتون وأيضاً بستان جسثيمانى.

ما أجمل قول القديس يوحنا الانجيلى عن الرب "فمضى كل واحد إلى خاصته. أما يسوع فمضى إلى جبل الزيتون" (يو٨: ١). أو قيل متى الانجيلى عنه أنه " قضى الليل كله فى الصلاة".

ولقد وردت فى (يو١٧) صلاته الختامية التى وجها إلى الآب، وقال له فيها "أنا مجدتك على الأرض. العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد اكملته"

إن السيد المسيح لم يكن محتاجاً إلى جلسة مع الآب، لأنه فيه منذ الأزل،

---

[١٧] القيت هذه المحاضرة مساء الجمعة الموافق ٢٩ فبراير ١٩٨٠.

ولكنه أعطانا درساً لتعليمنا.

أعطانا فكرة عن أهمية الجلسة مع الآب، ومتعة هذه الجلسة. ونحن بالنسبة إلى الآباء الكهنة الجدد، نعطيهم فرصة ليقضوا فى الدير أربعين يوماً مع الآب، مثلما فعل المسيح على الجبل، لا للدراسة، وإنما للجلوس مع الرب وأخذ نعمة منه ...

وفى حياة الأنبياء، نجد الخلوة مع الآب أيضاً ... موسى النبى قضى أربعين يوماً مع الله على الجبل، حتى إذا كانت نهايتها ونزل، كان وجهه يضئ بنور عجيب مبهر. وإيليا النبى، كان يقضى أوقاتاً طويلة مع الآب عند الجبل، وهكذا كان أيضاً أليشع النبى، وهكذا كان أعضاء مدرسة الأنبياء. ويوحنا المعمدان قضى مع الآب ثلاثين سنة من حياته، فى البرية قبل أن يبدأ خدمته. فنجحت خدمته تماماً ...وبولس الرسول لم يبدأ خدمته بعد دعوته، إلا بعد أن قضى ثلاث سنوات فى البرية، مع الآب، واستحق هذا الذى اختبر الآب أن يصعد إلى السماء الثالثة.

ويعوزنا الوقت إن تحدثنا عن هؤلاء جميعاً واحداً فواحداً. ولكن يكفى أن نورد مثلاً لقديس لخصت حياته فى عبارة واحدة: **"وسار اخنوخ مع الرب، ولم يوجد لأن الرب رفعه اليه"(تك ٥: ٢٤)**. عجيبة هذه الحياة التى لخصت بانها "سير مع الله"

إن حياة أبينا ابراهيم، لم نسمع عنها، الا عندما بدأ يلتقى مع الآب السماوى حينما ناداه قائلاً " أترك اهلك وعشيرتك وبيت أبيك واذهب ألى الجبل الذى أريك. وهناك أباركك وتكون بركة. وتتبارك بنسلك جميع قبائل الأرض" (تك١٢: ١- ٣)

ولما بدأ ابراهيم يجلس مع الآب، بدأت حياة ابراهيم الحقيقية. كل السبعين السنة التى سبقت هذا اللقاء لم تدخل التاريخ اطلاقاً. وإنما بدأ تاريخ هذا القديس بجلوسه مع الآب. ولما جلس مع الآب صار بركة. وبنسله تباركت جميع قبائل الأرض، ودخل فى حياة الإيمان، وصار أباً لجميعنا.

وأنت ما مدى جلوسك مع الآب، وأهميته فى حياتك؟

إن عمرك سوف لا تحسب منه إلا فترات جلوسك مع الآب. وعندما تفارق هذا العالم – بعد عمر طويل – وتصل إلى فوق، سوف لا تجد هناك إلا لحظات جلوسك مع الاب.

فكم هى؟ وما مدى عمقها وتأثيرها فى حياتك؟

لا تقل لا توجد فرصة للخلوة مع الله. فإن أردت تستطيع. على الأقل فى الليل الهادئ حيث ينام الكل، وتبقى أنت منفرداً مع الله. والمزمور يقول فى ذلك "فى الليالى أرفعوا أيديكم أيها القديسون وباركوا الرب". كذلك تستطيع أن تقلل بعض المشاغل التى تضيع وقتك بلا نفع، وتخصص هذا الوقت للجلوس مع الرب. إن كل عملك على الأرض "باطل وقبض الريح" أما الذى سيكتب لك فى سفرالحياة، هو جلوسك مع الله.

أعلم أيضاً إن هدف الجلوس مع الله، كان الهدف الذى من أجله ترك آباؤنا القديسون هذا العالم، وتاهوا فى البرارى والقفار، مبتعدين عن كل عزاء بشرى، لكى يتفرغوا للجلوس مع الرب، ويذوقوا حلاوة العشرة مع الله...

ولكن للأسف فإن جلساتهم مع الله لم يمكن تسجيلها، لأنها كانت فوق مستوى التسجيل. انها قدس أقداس.

لم تكتب لنا تفاصيل الجلسات المقدسة فى التاريخ ..

إنها أشياء لم يستطع التاريخ أن يسجلها، لأنها كانت أعظم من التاريخ، ولم يكن بإمكانه أن يستوعبها. لذلك أقول الصدق، إنه لو طلب منى أن أرسم صورة لشخص مثل الأنبا بولا مثلاً ما رسمت سوى أطار الصورة.

حقا ما الذى نعرفه عن هذا القديس سوى قصة خروجه من هذا العالم، وقصة لقائه بالأنبا أنطويوس فى آخر حياته. أما حياته كلها، تأملاته، صلواته، جلساته مع الله حياة الإيمان التى عاشها. فكلها قدس أقداس. كلها سر محفوظ عند الله، فى سفر الحياة. وبالمثل كانت حياة الآباء السواح والمتوحدين، كانت سراً، ولكنه سر له قوته الباطنية فى حياة البشرية. يعمل فى خفاء، ولكن فى قوة لأجل بناء الملكوت.

لذلك أقول لكم: صدقونى ان ما نعرفه من التاريخ، ليس هو افضل ما فى التاريخ. فافضل ما فيه لم يسجل. حتى بلاديوس، وجون كاسيان، وأمثالهما من الأجانب الذين زاروا البرارى المصرية: لم يكتبوا لنا من سير الرهبان سوى بعض أقوالهم ونصائحهم وأعمالهم الظاهرة، أما جلساتهم مع الله. فمن كان يستطيع أن يكتبها؟ كانت أعمق من التاريخ.

لقد ذكر التاريخ مثلاً دموع بعض القديسين فى صلواتهم، هذا هو الشئ الظاهر. أما المشاعر العميقة الداخلية، التى كانت الدافع لهذه الدموع، فقد كانت قدس أقداس، سر يكمن فى عمق الخلطة بالله، والصلة بين الروح وخالقها...

حقاً ان التاريخ فقير جداً فى معلوماته ...

إنه لا يملك سوى الظاهر فقط، أو بعض هذا الظاهر. أما العمق فلا

يعرفه.. قد يملك التاريخ ثياب قديس. أما جوهر هذا القديس، عمقه، روحياته، جلساته مع الله، فهذا خارج نطاق التاريخ. والذين جلسوا مع الله، لم يقصوا خبر تلك الجلسات، فبقيت كنوزاً فى قلوبهم، مخفاه، إلى يوم يعلنها الله يوم تفتح الأسفار، أو قد لا يعرفها الكل...

لذلك يخيل إلى اننا سنرى فى الملكوت وجوها جديدة. وجوهاً لم يسجل التاريخ أسماءها، لأنها كانت أعظم من تسجيل التاريخ، ولكن الله سجلها بنفسه فى سفر الحياة. ونحن إن جلسنا مع الآب، فلابد سندرى ماذا كانت جلسات القديسين معه.

وما لم يسجله التاريخ سنعرفه بالخبرة الشخصية. وسيقول الرب لنا ما قاله لموسى على الجبل، وما قاله للتلاميذ فى الأربعين يوماً، وما قاله لمريم أخت مريم وهى جالسة عند قدميه.كل واحد منا حسب رتبته سيُعلن له فى جلسته مع الرب. إنما المهم كيف تكون هذه الجلسة مع الرب.

البعض يصلون، ولكنهم لا يجلسون مع الرب فى صلواتهم. أما الجلسة الحقيقية، فتكمن فى شعورك الحقيقى بوجودك فى الحضرة الإلهية، كما قال إيليا النبى "حى هو رب الجنود، الذى أنا واقف أمامه". هل تشعر أنت تماماً بأنك واقف أمام الله.

وأحب أن أسألك: ما هو الوقت الذى تقضيه مع الله؟ وما مدى عمقه؟ وما مدى شعورك بمتعته؟ هل تجلس مع الله فتمل وتضجر، وتسعى خارجاً، تطلب العزاء البشرى فى الحديث مع الناس؟ أم أنت إذا جلست مع الله، تود أن تستمر وتطول جلستك معه، ويمر عليك الوقت دون أن تشعر، وأنت فى لذة روحية، تود ألا تنتهى ...؟

الفصل الثامن عشر

الإنسان الروحي
غالب ومنتصر

الإنسان الروحى غالب ومنتصر[١٨]

فى مناسبة بدء الصوم الكبير، نذكر أن الصوم تصحبه التوبة. وفى الصوم ينتصر الإنسان على كل خطية وكل تجربة.

وفى هذا الصوم أيضاً نذكر تجارب السيد المسيح على الجبل، وكيف كان منتصراً فيها كلها، وقدّم لنا مثالاً لحياة النصرة والغلبة على الشيطان. حقاً قيل عنه فى سفر الرؤيا: **هوذا قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا** (رؤ ٥: ٥).

والسيد المسيح قال عن نفسه "ثقوا، أنا قد غلبت العالم" (يو ١٦: ٣٣). هو قد غلب العالم فى فترة تجسده على الأرض، وهو أيضاً مستعد أن يغلب فينا، إن ثبتنا نحن فيه. وهو الذى كان بإستمرار غالباً فى كل حواراته مع زعماء اليهود وقادتهم الدينيين.

كما أنه كان غالباً ومنتصراً فى إتمام قضية الخلاص: فى موته عنا، وفى إنتصاره على الموت بقيامته. وكما غلب يدعونا أيضاً أن نغلب مثله – وما دمنا على صورة الله ومثاله (تك١: ٢٦)، ينبغى أن نكون مثله أقوياء وغالبين.

نلاحظ أن السيد الرب فى رسائله إلى ملائكة الكنائس السبع، كان يختم كل رسالة بعبارة "من يغلب" ويعقبها ببركة معينة.

إن حياتنا على الأرض هى مجرد فترة أختبار لإرادتنا الحرة. ومن يغلب،

---

[١٨] القيت هذه المحاضرة مساء الأربعاء الموافق ٦ مارس ٢٠٠٢.

سيدخل إلى الملكوت مع الله فى موكب الغالبين.

وهذه الغلبة نجدها واضحة فى حياة الآباء القديسين: أبونا ابراهيم أبو الآباء والأنبياء استطاع أن ينتصر على كل مشاعر الأبوة، حينما أخذ اسحق ليقدمه محرقة طاعة للرب (تك ٢٢). ويوسف الصديق قدّم مثلاً عالياً جداً فى الإنتصار على الإغراء، حينما لم يسمع لسيدته ولو أدى به ذلك إلى السجن (تك٣٩). والشهداء والمعترفون انتصروا على كل ألوان التعذيب، فى تمسكهم بالإيمان واحتمالهم العذاب حتى النهاية ...

وبالمثل آباء البرية فى احتمالهم الوحدة والزهد وكل حيل وحروب الشياطين. وكانوا فى كل ذلك منتصرين. وأيضاً أبطال الإيمان الذين غلبوا كل الهرطقات وما قدمته من شكوك. فثبتوا وردّوا على الشكوك بكل قوة، مدافعين عن الإيمان السليم.

ويكل هذه الأمثلة من الانتصار يقسم البعض الكنيسة إلى قسمين: الكنيسة المجاهدة، والكنيسة المنتصرة.

الكنيسة المجاهدة تمثل الأحياء على الأرض الذين يجاهدون لكى ينالوا الخلاص. أما الكنيسة المنتصرة فهى أعضاء الكنيسة الذين تركوا هذا العالم الفانى، وقد أنتصروا فى جهادهم و انضموا إلى موكب الغالبين.

النصرة على الخطية

علينا إذن أن نجاهد ونغلب وننتصر .. نغلب الشيطان وحيله، والعالم واغراءاته، والجسد وشهواته، والنفس وعبادتها لذاتها.

ولا يظن أحد منا أن القوة فى أن ينتصر على غيره، بل أن ينتصر على نفسه فى كل محاولاتها أن تنفصل عن الله .. نجاهد إذن ونغلب. ويشجعنا على الغلبة وعد الرب فى قوله "من يغلب فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى، كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبى فى عرشه" (رؤ٣: ٢١).

هناك أعداء خارجيون علينا أن نقاتلهم، كما قال الرسول: " إن مصارعتنا ليست مع لحم ودم، بل .. مع أجناد الشر الروحية "(أف ٦: ١٢). وقد قال أحد الآباء "لا يُكلل إلا الذى انتصر، ولا ينتصر ألا الذى حارب".

فهل الانتصار هو فقط ضد أجناد الشر الروحية؟ كلا، بل أهم انتصار، هو انتصار الإنسان فى داخله.

فإذا انتصرت فى داخلك، على نفسك، يمكنك الانتصار فى كل الحروب الخارجية. ولا يقوى شىء منها عليك.

وكما قال الشيخ الروحانى "إذا حوربت يوماً بالرئاسة، فقل إن أفكارى ومشاعرى وحواسى، هى هذه التى أقامنى الله عليه رئيساً، لكى أدبّر أهل بيتى حسناً" ...

نعم، إن هذه الأفكار والمشاعر والحواس، هى التى يجب أن ننتصر عليها أولاً، لكى نحيا حياة الغلبة ... لا شك أن الخاطىء هو مغلوب قبل كل شىء من ذاته .. الخاطىء هو مغلوب من حبه للخطية وخضوعه لها. والغضوب هو مغلوب من غضبه، والزانى هو مغلوب من شهوة جسده، وهكذا..

فلا تقل إن العثرات الخارجية هى التى تقوى علىّ فتغلبنى. بل العثرات تبحث عن نقطة ضعف فى طبيعتك التى تنفذ منها وتحاربك بها وتسقطك. السبب إذن هو الضعف الذى فيك.

الخطية التى فى الخارج، تبحث عن خطية فى داخلك لكى تتحد بها. فإذا لم يوجد فى داخلك الميل الذى ينجذب إلى الخطية الخارجية، لا تقوى تلك عليك، كما حدث مع يوسف الصديق.

الإنسان البار نقى من الداخل، لذلك فإن أبوابه مسدودة أمام الشيطان. كما نقول فى المزمور الأخير من المزمور من صلاة النوم "سبحى الرب يا أورشليم (ونعنى بها النفس)، سبحى إلهك يا صهيون، لأنه قوى مغاليق أبوابك، وبارك بنيك فيك" (مز ١٤٧: ١٢، ١٣).

ونقول بالمثل فى سفر نشيد الناشيد "أختى العروس جنة مغلقة، عين مقفلة، ينبوع مختوم"(نش ٤: ١٢).

الشيطان يأتى ويقرع على بابك. فإن فتحت له يدخل. وإن لم تفتح له، يتركك ويمضى. أما إن كانت أبوابك مفتوحة باستمرار له ولجنوده، فلا تلم إلا نفسك إذا دخل وسبعة معه.

إنه يجس نبضك، ليعرف معدنك، ويختبر قوتك أو ضعفك .. وحينئذ يقرر ما يفعله معك، تبعاً لحالتك. ولكنه لا يقتحم القوى اقتحاماً. جليات يهددك ويحاول أن يخيفك. ولكنه لا يغلبك إلا لو رآك مستسلماً له. داود لم يستسلم له. بل تقدم وغلبه.

حسناً قال الرسول "لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير" (رو ١٢: ٢١). لذلك قاوم وانتصر. يقول الرسول: " **قاوموا ابليس، فيهرب منكم" (يع** ٤: ٧). ويقول بطرس الرسول " قاوموه راسخين فى الإيمان" (١بط ٥: ٩).

إن مقاومتك للشيطان تدل على رفضك له. وهذا الرفض يجعل النعمة تتقدم لمعونتك وتساعدك على النصرة. ومن جهتك، اطلب النعمة باستمرار،

لكى تحفظك من كل حيل العدو. فإن "الحرب للرب". والرب قادر أن يقودك فى موكب نصرته (٢كو ٢: ١٤).

وثق أنك لا تحارب العدو وحدك، فهناك ملائكة تحاربه معك.

ونحن نطلب هؤلاء الملائكة فى كل صلاة، فنقول للرب "أحطنا بملائكتك القديسين، لنكون بمعسكرهم محفوظين ومرشدين ".

واهتم أيها الابن المبارك بحياة النصرة، فهى حقاً مفرحة. ليست مفرحة لك وحدك، بل حتى للملائكة أيضاً، إذ أنه " يكون فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب" (لو ١٥).

وكما أن حياة النصرة مفرحة، هى أيضاً قدوة. إن أخوتك فى الإيمان يفرحون بأمثولتك، وأنت غالب ومنصر فى حياتك الروحية، ويتعزون بذلك ويشعرون أن الحياة الروحية ليست صعبة إذ يرون ممارستك لها. ويتخذونك قدوة .. والنصرة ليست فقط ضد الخطايا، وإنما فى المشاكل أيضاً.

نصرة فى المشاكل

إن المشاكل يتعرض لها الكل، ولكنها تختلف فى نوعيتها، وأيضاً فى شدتها، وفى مدتها. **ولكن حسب نوعية القلب الذى يقابل المشاكل، يكون تأثيرها: فهى تغلب الضعيف. أما القوى فينتصرعليها.**

القوى ينتصرعليها بالصبر والأحتمال، وبالإيمان والصلاة. يحتملها حتى تمر، دون أن تعكره أو تزعجه، أو تزعزعه. إنه يضع الله أمامها، وبالإيمان يستريح ويطمئن إن الله سيحلها. أما الضعيف فيضع خوفه أمام المشاكل

فينهار.

إن المشاكل ليست هى التى تغلبه، بل يغلبه خوفه منها. كالطفل الذى يخاف من الظلام، بينما لا يوجد سبب حقيقى يخيفه، ولكنه الضعف الذى فى القلب يخلق الأوهام والمخاوف ... المشاكل تمر على الكل.

كموسم البرد، هو للجميع. ولكن البعض يُصاب بالبرد، والبعض لا يُصاب، بحسب صحة كل فرد .. كذلك الميكروب قد يوجد فى الجو وفى مصادر متعددة. ولكن حسب مقدار مناعة الإنسان، يستطيع أن يقاوم الميكروب أو لا يقاومه ..

هكذا مع المشاكل: الإنسان الروحى المنتصر فى الداخل، لا تهزه المشاكل. كشجرة البلوط القوية لا تهزها الرياح، بل تقف أمامها صامدة. وكالجنادل فى النهر لا تؤثر فيها الرياح و الأمواج. أما الضعيف، فينطبق عليه قول الكتاب " يقول الأسد فى الطريق، الشبل فى الشوارع" (أم ٢٦: ١٣)، بينما لا شبل هناك ولا أسد .. أو هو – كما يقول الكتاب أيضاً – "يهرب ولا مطارد " ...

فى كل مشاكلك، ضع أمامك هذه النقاط الثلاث: ربنا موجود – كله للخير – مصيرها تنتهى. مادام الله موجوداً، إذن لابد سيتدخل ويحل المشكلة. وحقاً "كله للخير" حسب قول الرسول "كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله" (رو ٨: ٢٨).

كما أن كل مشكلة مصيرها أن تنتهى. لأنه لا توجد مشكلة تبقى مدى الحياة. بل كلها موقوته بزمن تنتهى فيه. وعلينا أن نصبر حتى تنتهى. كما قال المرتل فى المزمور: **"انتظر الرب. تقو وليشدد قلبك، وانتظر الرب"**

(مز ٢٧: ١٤).

ها قد تكلمنا عن حياة الانتصار، وبقى أن نتحدث بالضرورة عن " كيف ننتصر "؟

كيف ننتصر؟

١ – **ضع أمامك أن الانتصار ممكن.** وردد باستمرار قول الرسول "أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى"(فى٤: ١٣). وكذلك وعد السيد الرب فى قوله "كل شىء مستطاع للمؤمن" (مر ٩: ٢٣).

إذن الانتصار على الخطية ممكن، مهما كانت حروبها شديدة. والمرتل يقول فى المزمور إن "الرب لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب الصديقين، لكى لا يمد الصديقون أيديهم إلى الإثم" (مز ١٢٥: ٣).

٢ – **اشعر بأن الروح يحارب معك، ويحارب عنك.** كما قال موسى النبى "قفوا وانظروا خلاص الرب .. الرب يقاتل عنكم، وأنتم تصمتون" (خر ١٤: ١٣، ١٤). وكذلك فى المزمور "نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين. الفخ انكسر ونحن نجونا. عوننا من عند الرب الذى صنع السماء والأرض" (مز ١٢٤: ٧، ٨). وأيضاً" الرب يحفظك من كل سوء. الرب يحفظ نفسك، الرب يحفظ دخولك وخروجك" (مز ١٢١). وأيضاً " دفعت لأسقط، والرب عضدنى. قوتى وتسبحتى هو الرب، وقد صار لى خلاصاً" (مز ١١٧).

٣ – **إذا سقطت فلا تيأس. بل قم وكمل جهادك.** وردد عبارة ميخا النبى "لا تشمتى بى يا عدوتى. إذا سقطت أقوم" (مى ٧: ٨). وأيضاً قول الكتاب

"الصديق يسقط سبع مرات ويقوم". واعرف أن السقوط ليس معناه الهزيمة الكاملة. فهو مجرد مرحلة تعبر على الإنسان يقوم منها، ويعاود قوته.

٤ – **ثق أن الله أعطاك سلطاناً على قوى الشر. فمارس سلطانك.** إنه أعطانا السلطان أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو (لو ١٠: ١٩). ونحن نردد هذا الوعد الإلهى فى نهاية صلاة الشكر فى كل يوم. ولهذا فلترتفع روحك المعنوية. وقابل الخطايا والمشاكل بروح معنوية قوية، ولا تخاف. وأذكر قول الرسول "أكتب إليكم أيها الشباب، لأنكم أقوياء، وكلمة الله ثابتة فيكم. وقد غلبتم الشرير"(١يو ٢: ١٤).

٥ – **اذكر سير قديسى التوبة لكى تتشجع.** أولئك الذين انحدروا إلى درجات هابطة جداً فى الخطية، ثم تابوا وارتفعوا إلى قمم عالية فى حياة البر. أمثال القديس أوغسطينوس، والقديسة مريم القبطية، والقديس موسى الأسود. فالذى عمل فى كل هؤلاء، هو قادر أيضاً أن يعمل معك.

٦ – **اجعل باب الرجاء مفتوحاً أمامك على الدوام.** فما لا تقدر أنت عليه، يقدر عليه الله الذى يريد خلاصك. واعرف أن كل باب مغلق له مفتاح أو عدة مفاتيح. وكل مشكلة لها حل أو عدة حلول. والله لابد سيأتى ولو فى الهزيع الأخير من الليل.

٧ – **استخدم كل وسائط النعمة.** من القراءات المقدسة، والآيات المعزية، والأجبية، والاعتراف، والتناول، والترتيل والتسبيح، وحضور الإجتماعات الروحية.

٨ – **لا تترك أبوابك مفتوحة للعدو.** بل ابعد عن العثرات وكل أسباب الخطية ومجالاتها وأسبابها. واستمع إلى النصيحة التى قالها الملاك لأبينا

لوط وقت حرق سادوم " اهرب لحياتك. لا تقف فى كل الدائرة" (تك١٩: ١٧).

٩ – **قاوم نقط الضعف التى فيك.** اكتشفها وقاومها. ولا تدع فى داخلك ضعفاً معيناً يحاربك به عدو الخير.

١٠ – **لا تستسلم لأية حروب تُحارب بها.** بل اذكر توبيخ القديس بولس الرسول حينما قال لهم "لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية" (عب ١٢: ٤). فلا تستسلم فى أية مرحلة من مراحل الخطية. ولا تدع مرحلة منها تقودك إلى مرحلة أسوأ.

الفصل التاسع عشر

تأملات فى قصة السامرية

تأملات فى قصة السامرية[١٩]

من أحاد الصوم الكبير: أحد السامرية، وهو يحكى إحدى قصص الخلاص ...

قصص الخلاص

قصص الخلاص على أنواع: منها **نوع يأتى فيه الخاطئ إلى الرب**، مثل الابن الضال الذى عاد إلى الآب تائباً وهو يقول "أخطأت إلى السموات وقدامك، ولست مستحقاً أن ادعى لك ابناً.." (لو١٥: ٢١). ومثل العشار الذى دخل إلى الهيكل، ووقف من بعيد، وقرع صدره قائلاً: أغفر لى يارب، فإنى خاطئ" (لو١٨: ١٣).

وهناك نوع آخر من قصص الخلاص، **يأتى فيه الرب إلى الخاطئ**: مثل عذراء النشيد التى أتى إليها وقرع على بابها قائلاً "افتحى لى.." (نش٥: ٢). وكذلك قول الرب فى سفر الرؤيا "أنا واقف على الباب وأقرع. من يفتح لى، أدخل وأتعشى معه.." (رؤ٣: ٢٠).

على أنه فى قصص الخلاص، يشترط عنصر الاستجابة، إن كان الله هو الآتى إليه، أو إن شرح له الله الطريق إن كان هو الذى يأتى.

ففى قصة الشاب الغنى: هو الذى أتى إلى الرب يسأله عن طريق

---

[١٩] نشرت عظة للبابا شنودة الثالث عن القديسة السامرية، فى الكتاب الذي نشره مركز معلم الاجيال باسم " بعض شخصيات الكتاب ج٢" وركزت على الارتواء بشخص السيد المسيح.

القيت هذه المحاضرة مساء الأربعاء الموافق١٠ مارس ٢٠٠٤.

الخلاص. فلما قال له الرب "اذهب وبع كل مالك وأعطه للفقراء، لم يستطع أن يستجب بل مضى حزيناً" (مت١٩: ٢١، ٢٢).

وعذراء النشيد لما قرع الرب على بابها، لم تستجب له فتحول وعبر. وقالت: نفسى خرجت حينما أدير. طلبته فما وجدته. دعوته فما أجابنى" (نش٥: ٦).

فى قصة خلاص زكا، اجتمعت إرادته مع إرادة الله.. هو أراد أن يرى السيد المسيح والسيد المسيح قال له "يازكا، اسرع وأنزل، لأنه ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك". ودخل الرب إلى بيته، وقال "اليوم حصل خلاص لهذا البيت" (١٩: ٢- ٩).

الله يريد أن الجميع يخلصون (١تى٢: ٤). ولكن المهم أن تتفق إرادة الناس مع إرادة الله.

هو "قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك" (لو١٩: ١٠). ولكن ينبغى على الذين جاء ليخلصهم أن يقبلوا منه الخلاص. إننا نقول عنه فى آخر كل صلاة بالأجبية "الداعى الكل إلى الخلاص، لأجل الموعد بالخيرات المنتظرة". ولكن قيل أيضاً إن كثيرين يدعون، وقليلون ينتخبون" (مت٢٠: ١٦).

إن قصة الخلاص سعت إلى سادوم، ولكن أصهار لوط لم يستجيبوا بل قيل إنه "كان كمازح وسط أصهاره" (تك١٩: ١٤). ولم ينجُ من سادوم سوى لوط وابنتيه ...

الســامريــة:

عاشت هذه المرأة فى الفساد مع خمسة رجال. وكان الرب يرى ويسكت. وأهل السامرة أيضاً كانوا يعبدون الأصنام منذ انفصال يربعام عن رحبعام بن سليمان. وأقامته عجلى ذهب قائلاً عنهما: "هذه آلهتك يا إسرائيل التى أخرجتك من أرض من أرض مصر" (١مل١٢: ٢٨). وكان الرب يرى ويسمع، ويحتمل ويصبر. إلى أن أتى الوقت لافتقاد المرأة السامرية، وافتقاد أهل السامرة. تماماً مثلما أتى زمان افتقاد الشيوعيين بعد سبعين سنة من الإلحاد فى عهود لينين وستالين وغيرهما ... فعادوا إلى الإيمان.

إذن الله يأتى فى الوقت المعين لافتقاد الذين يعيشون فى الخطية. هو عطشان إلى خلاصهم. كما نقول نحن له فى المزمور "عطشت نفسى إليك" (مز٦٣: ١). لذلك حسناً قال للسامرية "أعطينى لأشرب" (يو٤: ٧). ولم يقصد طبعاً أن يشرب من ذلك الماء، ولم يحدث ذلك.

إن الذين يفتقدهم الرب، يكون افتقاده لهم نقطة تحول فى حياتهم.

كانت نقطة تحول، تغيروا بها جميعاً إلى حياة أفضل.نعم، كانت نقطة تحول بالنسبة إلى المرأة السامرية وأهل السامرة. وكانت نقطة تحول بالنسبة إلى مريم المجدلية، وإلى زكا العشار، وإلى نيقوديموس. ونقطة تحول كبرى بالنسبة إلى شاول الطرسوسى، الذى استجاب للوقت، وقال "ماذا تريد يارب أن أفعل" (أع٩: ٦).

العجيب أن هناك فى التاريخ وفى الكتاب المقدس شخصيات قوية وذات تأثير وتأثير: إذا انجذبت إلى المسيحية وإلى الطريق الروحى، تكون مكسباً

كبيراً وسبب بركة. مثل شاول الطرسوسى، وبعض فلاسفة الوثنية الذين تحولوا إلى فلاسفة مسيحيين. ومثل القديس أغسطينوس الذى لما انجذب إلى المسيحية، صار نبع روحيات عميقة لأجيال طويلة.

نعود إلى المرأة السامرية، فنقول إنها كانت إمرأة عجيبة وقوية فى تأثيرها. استطاعت أن تجذب إليها خمسة رجال، فعاشوا معها فى الخطيئة، ثم حينما أرادت طردتهم عنها، فعادوا إلى بيوتهم. وبقى معها واحد. ولاشك أنها طردته عنها بعد لقائها بالسيد المسيح.

وعلى الرغم من خطيئتها، كانت على معرفة بأمور دينية عديدة: كانت على معرفة بقصة بئر يعقوب. وعلى معرفة بالخلاص بين اليهود والسامريين، والخلاف بين السجود فى جبل أورشليم، والسجود فى جبل السامرة. وكانت على معرفة بأن "مسيا يقال له المسيح، سيأتى ويخبر بكل شئ (يو ٤: ٩، ١٣، ٢٠، ٢٥). وفى معرفتها كانت من النوع الذى يجادل، ويحب أن يعرف الحقيقة.

كانت لها الجرأة التى تجادل بها السيد المسيح نفسه: كيف تكلمنى وأنت رجل يهودى، وأنا امرأة سامرية؟! ألعلك قد خرجت عن تقاليد شعبك. ثم كيف تقول إن عندك ماء يمكن أن أطلبه منك، وأنت لا دلو لك والبئر عميقة؟! ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا البئر، وشرب منها هو وبنوه ومواشيه؟!

والسامرية كانت أيضاً - رغم خطيتها - تستجيب للعمل الروحى. فلما كشف لها الرب حياتها، قالها "يا سيد أرى أنك نبى" (يو ٤: ١٩). ولما حدثها عن الماء، قالت له "يا سيد، أعطنى هذا الماء لكى لا أعطش". ولما كشف

لها ذاته، تركت جرتها وذهبت لتبشر به وسط أهلها قائلة لهم "هلموا أنظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت. ألعل هو المسيح.." !

كانت مهابة المسيح تشملها أثناء حديثه معها، وكانت تخاطبه بعبارة "يا سيد". إنه رجل ليس كباقى الرجال الذين عرفتهم.

والسيد المسيح تدرج فى حديثه معها، وتدرجت هى فى معرفته. وكان يحدثها بكل رقة، لا يجرح شيئاً من مشاعرها، على الرغم من معرفته بكل خطاياها..

إنه لم يحدثها مطلقاً عن التوبة، ولم يوبخها على سيرتها الرديئة. إنما على العكس حدثها إيجابياً عن الماء الحى، الذى كل من يشرب منه، لا يعطش أيضاً .. وحدثها أيضاً عن السجود لله بالروح والحق ..

ولم يجب على سؤالها: ألعلك أعظم من أبينا يعقوب؟ هناك أسئلة يكون عدم إجابتها أفضل .. كما أن السيد المسيح كان من نسل أبينا يعقوب. ولم يجب ويقول "نعم أنا أعظم". تركها لتفهم فيما بعد..

أما سؤالها من جهة أنه يهودى وهى سامرية، واليهود لا يعاملون السامريين.. فكانت إجابته واضحة فى ذهنه: أنا أتيت لأصالح اليهود مع السامريين، كما سأصالح اليهود مع الأمم. وإن كان السامريون قد أخطأوا وعبدوا الأصنام، فاليهود أيضاً قد أخطأوا.. وإبن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك".

على أن الرب لم يشرح لها كل هذا، لأنها لم تكن لتفهم ذلك وقتذاك. إنما يكفى من جهة المصالحة، أنه كان يكلمها وهو يهودى وهى سامرية.. إنها تباشير الصلح.

قال لها: لو كنت تعلمين عطية الله، ومن هو الذى يقول لك إعطينى لأشرب، لطلبت أنت منه، فأعطاك ماء حياً..

وتعلقت هى بعبارة إعطائها الماء، وكيف يكون ذلك؟ وهل يمكن أن تنال من الماء الحى، ونسيت عبارة: لو كنت تعلمين من يكلمك..؟

حسناً، إنها ستعرف من هو الذى يكلمها فيما بعد. ستعرفه من مجرى الحديث معه. أما أنها فهى تريد ذلك الماء الحى، الذى كل من يشرب من منه لا يعود يعطش أبداً.. غير أن الشرب من الماء الحى، يحتاج إلى تغيير لحياتها الخاصة. وهنا كان لابد أن يطرق المسيح موضوع حياتها الخاصة..

لم يقل لها: أنت لا تستحقين الشرب من الماء الحى. إنما دخل فى الموضوع بأسلوب سهل، وقال لها: اذهبى وادعى زوجك. تركها هى لتقول "ليس لى زوج". وكان هو أول اعتراف لها.. لأنها مادامت ليس لها زوج إذن فالذى تعيش معه الآن ليس هو لها .. أى أنها تعيش معه عيشة خاطئة.

واكتفى السيد المسيح بهذه الإشارة منها، ومدحها على ذلك، وقال لها "حسناً قلت: ليس لى زوج". ثم أكمل لها ما لم تستطيع أن تقوله: "لأنه كان لك خمسة أزواج. والذى لك الآن ليس هو زوجك" وختم هذا كله بعبارة "هذا قلت بالصدق" أى عبارة مديح أخرى.. مع أنها لم تقل شيئاً .. ربما كانت تومئ بإيمائة تعنى "نعم"...!

إن السيد المسيح فى حديثه مع السامرية، يقدم للآباء الكهنة الأسلوب الرقيق فى تقبل الاعتراف.

لأن بعض الكهنة يعصرون المعترف عصراً لكى يقول كل شئ، ومن أول جلسة اعتراف!! فتتعب نفسيته من هذا القهر أو هذا الضغط، ويتمنى لو لم

يكن قد جاء ليعترف.

أو قد تأتى امرأة وتقول للأب الكاهن – وهى فى خجل شديد – وقعت فى الخطية، ويكون مفهوما ما تعنيه. ولكن يحرجها ويجرحها بقوله لها "أية خطية؟! ويحاول أن يدخل فى تفاصيل متعبة. فتخرج تلك المرأة من عنده، وهى مصممة على ألا تعود مرة أخرى لهذا الاعتراف ..!

ليت الآباء الكهنة يتدربون على الطريقة الرقيقة فى تلقى الاعترافات، فى لطف دون أن يجرحوا شعور المعترف أو يخدشوا نفسيته، مدركين أن الاعتراف – كأية فضيلة – ينمو فيه الإنسان. وقد لا يستطيع مرة واحدة أن يقول كل شئ ولكنه يتدرج بالوقت. فيقول يما بعد ما لم يكن يستطيع أن يقوله من قبل ..

إن رقة السيد المسيح فى مساعدة السامرية على الاعتراف، جعلها تقول له "يا سيد، أرى أنك نبى". وأن تقول لشعبها عنه فيما بعد "قال لى كل ما فعلت" وليس "قلت له كل ما فعلت".

إنه كان فى – حديثه معها – يسعى لخلاصها، وليس لإحراجها.

ولكن بعد أن قاله له "أرى أنك نبى" كان أمامها سؤالان:السؤال الأول حول مكان السجود: هل فى جبل أورشليم كما يعتقد اليهود؟ أم فى جبل السامرة، كما يعتقد السامريون؟ إنه سؤال طقسى.

والسيد المسيح معها، قدّم لها الرد بطريقة إيجابية، دون أن يتعرض لإيمانها بقدسية جبل بلادها .. فقال لها "الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدون" ، "الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له" ..

ولم يتعصب محدثها وهو يهودى لجبل أورشليم. بل قال لها "صدقينى يا امرأة إنه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل، ولا فى أورشليم، تسجدون للآب".

استراحت المرأة لهذه الإجابة. بقى السؤال الثانى: **قالت: "أنا أعلم أن مسيا الذى يقال له المسيح يأتى.** فمتى جاء ذلك، يخبرنا بكل شئ". وهنا أعلن لها السيد ذاته، فقال له "أنا الذى يكلمك هو" (يو ٤: ٢٥، ٢٦)..

تماماً مثلما سأله المولود أعمى عن ابن الله: من هو يا سيد لأؤمن به؟ فأجابه "الذى يتكلم معك، هو هو" (يو ٩: ٣٦، ٣٧). وهكذا أعلن له المسيح ذاته، كما أعلن ذاته للسامرية ..

وكان لهذا الإعلان تأثيره العجيب فى قلب السامرية، فتركت جرتها ومشت إلى المدينة وقالت للناس: هلموا أنظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت. ألعل هذا هو المسيح؟.

وهكذا كما تحولت من خاطئة إلى تائبة ومؤمنة، تحولت أكثر من هذا إلى مبشرة.. كان حديث الرب معها ذا فاعلية فيها.

بعد ذلك ذهب السيد المسيح إلى مدينة هؤلاء السامريين، ومكث هناك يومين، فآمن به كثيرون جداً بسبب كلامه. وقالوا "نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم" (يو ٤: ٤١).

إن قصته مع السامرية والسامريين تعطينا فكرة عن عدم احتقار الخطاة والضالين. كما قال السيد "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى. ما جئت لأدعو أبراراً، بل خطاة إلى التوبة (مت٩: ١٢، ١٣).

فلا يجوز أن يتعالى أحد على إنسان خاطئ، بل إن استطاع أن يرشده

إلى طريق الله، فيعلم أنه من رد خاطئاً عن ضلال طريقه، يخلص نفساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا" (يع٥: ٢٠).

ولم يستطع فعلى الأقل يصلى لأجله، ولا يحتقره..

كما نتعلم من قصة السامرية الأسلوب الذى نتخاطب به حتى مع أشر الخطاة: الأسلوب الرقيق الذى نربح به النفوس إلى الملكوت، لأنه رابح النفوس حكيم. ويتعلم آباء الاعتراف كيف يتلقون الاعترافات.

نتعلم أيضاً أن لكل شئ تحت السموات وقتاً (جا٣: ١).

لخلاص السامرة والسامريين وقت، وللقضاء على الشيوعية والإلحاد وقت، ولقبول الأمم وقت، ولا نيأس من أحد.

هوذا الرب يقول إن الحقول قد أبيضت للحصاد، أى قد حل وجاء وقت الحصاد، الذى تكون قد هيأته نعمة الله، لنحصد ما لم نتعب فيه (يو٤: ٣٨).

الفصل العشرون

خطورة وصية رعاية الفقراء

خطورة وصية رعاية الفقراء والمحتاجين[٢٠]

الله الحنون الذى يهتم بكل أحد، عهد إلينا برعاية المحتاجين. ودليلاً على خطورة هذه الوصية، أنه جعلها من أسس الدينونة العامة.

إذ يقول فى ذلك اليوم للذين عن يساره "اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته. لأنى جعت فلم تطعمونى، عطشت فلم تسقونى. كنت غريباً فلم تأوونى، عرياناً فلم تكسونى. مريضاً ومحبوساً فلم تزورونى .. فيمضى أولئك إلى عذاب أبدى، والأبرار إلى حياة أبدية" (مت٢٥: ٤١ – ٤٦).

ومن أمثلة هؤلاء أيضاً غنى لعازر.

إنه ذهب إلى العذاب، فى حاجة إلى قطرة ماء تبرد لسانه لأنه معذب فى ذلك اللهيب. ولم يذكر الكتاب عنه إلا أنه كان مترفاً، ولم يهتم بإطعام لعازر المسيكين ولو من الفتات الساقط من مائدته، كما أنه لم يهتم بعلاج قروح ذلك المسكين (لو١٦: ١٩– ٢٤).

نضيف إلى هذا أيضاً قول الكتاب: **"من يسد أذنيه عن صراخ المسكين، فهو أيضاً يصرخ ولا يستجاب"** (أم٢١: ١٣). طبعاً لا يستجاب على الأرض، ولا فى السماء أيضاً. فالكتاب يقول "طوبى للرحماء لأنهم يرحمون" (مت٥: ٧). أما الذين لا يرحمون غيرهم، فلا يجدون رحمة أيضاً.

يقول الكتاب أيضاً "الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه، افتقاد

---

[٢٠] القيت هذه المحاضرة مساء الأربعاء الموافق ١٩ فبراير ١٩٩٧.

اليتامى والأرامل فى ضيقهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم" (يع١: ٢٧). وهكذا جعل رعاية اليتامى والأرامل ميزة هامة للديانة الطاهرة النقية.

ومن خطورة وصية العطاء، مركز الفقراء عند الرب. فمن هم الفقراء؟

من هـم الفقـراء؟

أعتبرهم الرب إخوته. فقال عن يوم الدينونة "الحق الحق أقول لكم: بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء الأصاغر، فبى قد فعلتم" (مت٢٥: ٤٠). ولذلك نحن نسمى الفقراء (أخوة يسوع) أو (أخوة الرب) ...

بل إن الرب أعتبرهم كذاته نفسه. فقال "لأنى جعت فلم تطعمونى، عطشت فلم تسقونى.." (مت٢٥: ٤٢).

وفى إحدى المرات قال الكتاب "لا تنسوا إضافة الغرباء. لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون" (عب١٣: ٢). ولعله يشير إلى ما ورد فى (تك١٨: ٦- ٨).

أمثـلة من العطـاء

أول مثال هو إعطاء العشور. هو عطاء للرب. **فالذى لا يعطى العشور يعتبر كأنه يسلب الرب نفسه.** وهذا ما ورد فى سفر ملاخى النبى " أيسلب الإنسان الله؟! فإنكم سلبتمونى (يقول الرب). فقد بما سلبناك؟ فى العشور والتقدمة" (ملا٣: ٧، ٨).

على أن العشور تعتبر الحد الأدنى للعطاء، يضاف إليها البكور أيضاً.

والعشور لا تعنى مجرد المال النقد فقط.

فالطبيب يمكن وسط كل عشرعمليات جراحية، أن يترك واحدة للرب. أو بين كل عشرة كشوف على المرضى، يترك كشفاً على فقير للرب ... وبالمثل يمكن أن يعمل كل صاحب مهنة فى تعامله مع المحتاجين.

ومن أمثلة العطاء من أعطوا بيوتاً أو أراضى للرب.

ومثال ذلك النساء القديسات اللاتى أعطين بيوتهن فى العصر الرسولى لتكون كنائس. ومنهن القديسة مريم أم القديس مرقس الرسول الذى صار بيتها أول كنيسة فى المسيحية، فيها يصلى المؤمنون، وإليها أتى القديس بطرس لما خرج من السجن (أع١٢: ١٢).

كذا أكيلا وبريسكيلا اللذين أرسل إليهما القديس بولس تحياته ومحبته وقال "والكنيسة التى فى بيتهما" (رو١٦: ٥). وأيضاً أرسل تحيته إلى نمفاس والكنيسة التى فى بيته (كو٤: ١٥). وبالمثل يقال عن ليديا بائعة الأرجوان (أع٦). وغير هؤلاء كثيرون ...

وكل أوقاف الكنيسة عبارة عن أراضٍ وهبها أصحابها للكنيسة، فصارت وقفاً للرب.

وهناك نذكر كمثال رجل خيّر هو ابراهيم الجوهرى، وغيره كثيرون. والبعض ممن لم يرزقهم الله نسلاً، كانوا يأتون إلينا، ويهبون للكنيسة بيوتهم بعد وفاتهم إذ ليس من يرثهم. فكان لنا حسب القانون (حق الرقبة) ولهم (حق الإنتفاع).

وأتذكر أن واحداً من هؤلاء قال لى أترك بيتى من طابقين بعد وفاتى..

فقلت له أنت رجل خيّر نطلب لك من الرب طول العمر. وأريدك أن تتمتع بثمار خيرك فى حياتك. لذلك أريد منك أن تعطينى (حق الهواء) أى ما فوق الطابق الثانى من هواء، فنبنى فيه الطابق الثالث والرابع- حسبما يحكم القانون - وترى مشروعات الكنيسة فى حياتك.

صفات العطـاء

وفى الإهتمام بالمحتاجين ورعايتهم، عليك أن تعطى حتى دون أن يطلبوا منك ..

فالأب مثلاً لا ينتظر أن يطلب منه أولاده احتياجاتهم. بل يوفيه لهم دون أن يطلبوا. وفى قصة السامرى الصالح نجد أنه نزل إلى علاج الجريح الملقى فى الطريق، دون أن يطلب الجريح منه، إلى باقى اعتناءاته به وانفاقه عليه حتى شفى (لو ١٠: ٣٣- ٣٥).

والاهتمام بالمحتاجين ينبغى أن يكون ممزوجاً بالحب والفرح.

لأن البعض قد يعطى وهو متضجر ومتضايق، وساخط على طلب الفقراء، فهذا إنما يعطى من جيبه وليس من قلبه. وليس هذا هو العطاء الذى يحبه الرب. فالله يأخذ ما فى عطائك من حب ويترك الباقى. والكتاب يقول "ليس عن حزن أو اضطرار. لأن المعطى المسرور يحبه الله" (٢كو ٩: ٧).

والذى من قلبه يعطى الفقير. لا يتأخر فى إعطائه.

وفى هذا يقول الكتاب "لا تمنع الخير عن أهله، حينما يكون فى طاقة يدك أن تفعله. لا تقل لصحابك لصاحبك اذهب وعد فأعطيك غداً، وموجود

عندك" (أم٣: ١٧، ١٨).

وأيضاً فى العطاء، ليتك تعطى بسخاء، وأفضل ما عندك.

إن هابيل الصديق قدم لله "من أبكار غنمه ومن سمانها" (تك٤: ٤) أى أفضل ما عنده. لذلك لا تقدم للفقراء ما هو مرفوض عندك، كملابس شبه بالية، أو أطعمة غير مقبولة. إنما قدم ما يمكن أن تستعمله أنت. لقد مدح السيد المسيح المرأة التى أعطت من أعوازها، واعتبر أنها أعطت أكثر من الجميع (مر١٢: ١٤).

إعط بسخاء، ولا تبخل. ولا تقل انتهت قيمة العشور،

فلم يعد للرب شئ عندى أعطيه للفقراء. إنما ارتفع فوق مستوى العشور. فالوصية تقول "من سألك فاعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده" (مت٥: ٤٢).

وما أفضل أن تعطى فى الخفاء، ولا تُخجل من تعطيه.

والسيد الرب يقول: لا تجعل شمالك تعرف ما تفعله يمينك (مت٦: ٣).

ففى إحدى المرات حدث أن إحدى النساء الثريات وضعت فى كيس خمسمائة قطعة ذهب. وقدمتها للقديس الأنبا بموا للصرف منها على الرهبان المتوحدين الفقراء. فأخذها القديس وسلمها مباشرة لتلميذه وأمره بتوزيعها. فقالت له المرأة الثرية: "ولكنك يا أبى لم تفتح الكيس لترى ما به" .. وهنا نظر إليها القديس فى عتاب وقال لها "إن كنت يا ابنتى قد قدمت هذا المبلغ لله، فالله يعرف مقداره كم هو؟!

جميل ما قيل فى الكتاب عن العطاء: "من يرحم الفقير، يقرض الرب،

وعن معروفه يجازيه" (أم١٩: ١٧).

تصور أن الله يأخذ منك قرضاً. لأن ما تعطيه للفقير، إنما تعطيه للرب. والرب يجازيك عنه علانية. ليس فقط تكنز لك كنوزاً فى السماء (مت٦: ٢٠) تجدها هناك فى الأبدية، إنما على الأرض أيضاً يعطيك الرب عوض ما تقدمه .. لك ولأولادك أيضاً إن الله لا يمكن أن يأخذ قرضاً ولا يوفيه!

تذكر ما ورد عن ذلك فى أوشية القرابين. حيث يعوضهم الرب عن الفانيات بالباقيات، والأرضيات بالسماويات، وبيوتهم ومخازنهم يملؤها الرب من كل الخيرات..

بهذه المناسبة اذكر- ونحن شباب - أن كان بعض زملائنا يواظب على أن يقدم للكنيسة القربان الذى يُعمل منه الحمل. وكان يفرح عندما يسمع فى الأوشية الخاصة بالقرابين (قبل المجمع): اذكر يارب كل الذين قدموا لك هذه القرابين، والذين قدمت عنهم، والذين قدمت بواسطتهم ...

لا شك أن الذى يعطى ينال بركة من الرب. بركة - بواسطة صلاة الذين يعطيهم. كما قال أيوب الصديق "بركة الهاك حلت على" (أى ٢٩: ١٣).

أى أن الشخص الذى كان يهلك بسبب عوزه، نلت أنا بركة صلاته عنى .. وعن هذا أيضاً يقول الرب "اصنعوا لكم أصدقاء من مال الظلم". أى أن المال الذى يستحقه الفقراء، ولم تعطوه لهم، وظلمتموهم فيه، أعطوه لهؤلاء المحتاجين، فيصيروا أصدقاء لكم يصلون عنكم ...

كان الرب فى العهد القديم يقدم وصايا عديدة فى إعطاء المحتاجين.

فيقول "عندما تحصدون حصيد أرضكم، لا تكمل زوايا حقلك فى الحصاد.

ولقاط حصيدك لا تلتقط .. للمسكين والغريب تتركه" (لا١٩: ٩، ١٠).. فكانوا يتركون ذلك للفقراء الذين يجمعون وراء الحصادين، كما كانت تفعل راعوث (را ٢: ٣).

كذلك يقول الرب: وإذا حصدت حصيدك فى حقلك، ونسيت حزمة فى الحقل، فلا ترجع لتأخذها. للغريب واليتيم والأرملة تكون. لكى يباركك الرب (تث٢٤: ٤).

علينا إذن أن نستبقى شيئاً للفقراء من كل ما لنا. **وليتنا ندرب أنفسنا على العطاء كل يوم.**

كما ندرب أطفالنا أن يعطوا لأخوتهم وللضيوف أيضاً. هم الذين يقدمون لهم الحلوى، وليس نحن.

الفهرس

مقدمة قداسة البابا تواضروس الثاني ٧
مقدمة مركز معلم الأجيال ٩
تأملات فى الصوم الكبير ١٢
الصوم و روحانيته ٢٠
أهمية الصوم وروحانيته ٢٨
أقدس أيام فى السنة ٣٤
حياتنا بين الروح والجسد ٤٨
صوم الحواس ٦٢
الأذن بين الروحانية والإنحراف ٧٠
ماذا تركت من أجل الله؟ ٧٨
التخزين الروحى ٨٦
الهدف فى الحياة الروحية ١٠٠
حياة النقاوة ١٠٨
الهدوء ١١٤
التجربة على الجبل ١٢٢
حياتنا سلسلة إختبارات ١٣٠
حسد الشياطين ١٣٧
اللقاء مع الله ١٥٠
الجلوس مع الآب ١٥٨
الإنسان الروحى غالب ومنتصر ١٦٤
تأملات فى قصة السامرية ١٧٤
خطورة وصية رعاية الفقراء والمحتاجين ١٨٤

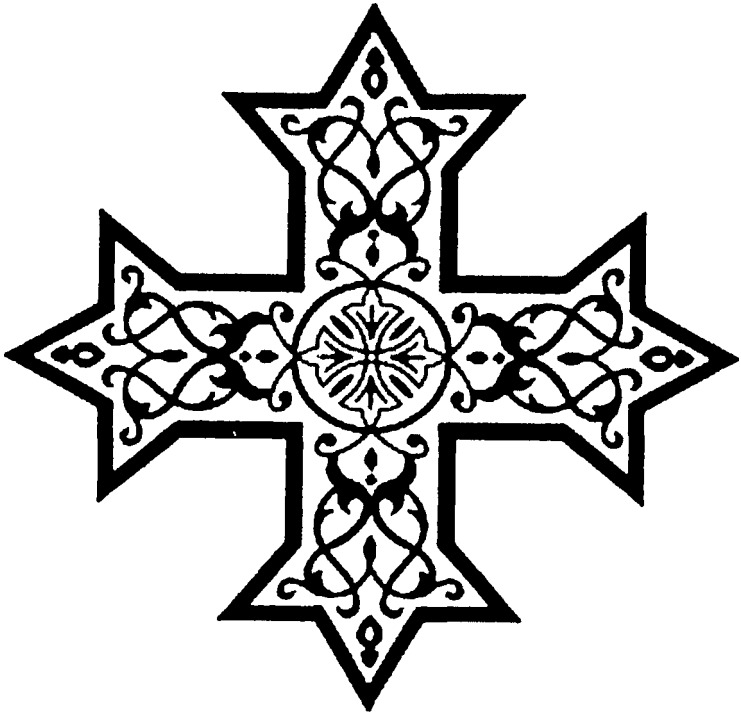

غزارة المعرفة
وعمقها في حياة
المتنيح قداسة
البابا شنوده الثالث
جعلته يترك لنا تراثاً روحياً
وأدبياً وكنسياً ربما لم تشهده
أجيالاً كثيرة قبلاً
وفي نفس الوقت هذا التراث
لم نحصره تماماً حتى الآن
ننشر بعضاً
من ذلك التراث الخالد
والذي لم يُنشر من قبل
وسوف تجد عزيزي القارئ متعة
خاصة وأنت تستمع
لصوت قداسته
عبر الصفحات وبعد رحيله بعامين
يُعلمنا ويروينا من فيض معرفته
وروحياته وخبراته العميقة
نفعنا الله ببركة صلواته لأجلنا
كنيسة وشعباً وضعفي
ونعمته تشملنا جميعاً

البابا تواضروس الثاني
بابا الإسكندرية
وبطريرك الكرازة المرقسية الـ118

مركز مُعلم الأجيال لحفظ ونشر تُراث البابا شنوده الثالث
بكنيسة السيدة العذراء بالزيتون
+202 24 54 26 97 / +202 24 54 26 96
Mobile: 012 796 445 54
popeshenoudagec@gmail.com
www.popeshenouda.com